

الإمام  
الدكتور عبد الحليم محمود



الْقُطْبُ الشَّهِيدُ  
عَبْدُ السَّلَامِ بْنِ بَشِيرٍ



دار المعارف

الإمام  
الدكتور عبد الحليم محمود

الْقُطْبُ الشَّهِيدُ  
عَبْدُ السَّلَامِ بْنُ بَشَلِيشَ

«كان مقامه بالمغرب  
كمقام الشافعي بمصر»

ابن عيَّاد



دار المغاري



## مقدمة

في رمضان عام ١٣٩٤ تلقيت دعوة كريمة ، من سليل الأشراف « الحسن الثاني » ملك المغرب ، للمشاركة في الدروس الحسينية .  
وحيثما وصلت إلى الرباط ، أبدت رغبتي في زيارة القطب الشهيد سيدي « عبد السلام بن بشيش » .

وبعد أيام قليل لي : إن طائرة « هليوكبتر » ستكون تحت تصرفك في الغد ، وسيكون زملاء الرحلة السيد : الشريف وزير القصور الملكية والسيد الفاضل وزير الأوقاف ، بذلك أمر سليل الأشراف : « الحسن الثاني » .

ومثل هذا الأمر لا يستغرب على آل البيت ، إن الأريحية شيمتهم ،  
والمروءة طابعهم .

رسافرنا بتوفيق الله - وزرنا ، وحضرنا حضرة صوفية ، أقامها آل « ابن بشيش » ، وسعدنا .

وفي نهاية المقام وزع السيد وزير القصور الملكية منحة ، كريمة ملكية ، ضخمة بمناسبة زيارتنا .

وعادت بنا الطائرة : باسم الله مجريها ومرساها .

كانت هذه الزيارة حافزاً قوياً للزم على الكتابة عن سيدي « ابن بشيش » :

والبيان عن سيدى « عبد السلام بن بشيش » ضرورى بالنسبة لمن يكتب عن المدرسة الشاذلية على وجه العموم ، وبالنسبة لمن يكتب عن ( الشاذلى ) رضى الله عنه على الخصوص .

وقد سبق أن كتبت عن الإمام « أبى الحسن » بناء على رؤيا قصصتها فى أوائل الكتاب .

وقد ذكرت فى مبدأ الكتاب حديثاً عابراً عن سيدى « عبد السلام » وأعجبني إعجاباً شديداً حديثه عن الحب الإلهى ، وأخذت فترة طويلة أبحث عن مراجع لهذا القطب ، ولم يكن الأمر سهلاً . إن كتب ( الطبقات ) بها نزر يسير ، لا يكاد يغنى .

ولما سافرت إلى المغرب ، ويسر الله لى زيارة القطب ، أخذت أسأل عن مخطوطات عنه ، وعلمت أن مكتبات المغرب لا تخلو من مناقب عن القطب .

ورجوت هذا ، ورجوت ذاك ، من رجال المغرب ، فى أن يساعدونى على الحصول على بعض المراجع .

وأخيراً ، وصلتني مخطوطات ، ورأيت أن ما جمعته من كتب ( الطبقات ) وما فى المخطوطات كاف ، فى التعريف ( بآبى بشيش ) ،

وأخذت أتحين الفرص ، للبدء فى التأليف ، حتى كان أمر السفر ، لحضور الاحتفال بتنصيب شيخ العلماء فى « يوغوسلافيا » .  
وأخذت المراجع ، ومنذ أن استقر بى المكان فى الطائرة ، أخذت أكتب .

كتبت في الطائرة ، وكتبته في فترات الفراغ ، في « بلجراد »  
ولما وصلت إلى « سرايفو » معقل المسلمين ، ومكان تجمعهم  
المبارك ، كنت أستفيد مما يتاح من أوقات الراحة ، لأكتب ، وكان  
الوقت المفضل هو حينما أستيظ في الفجر ، على صوت المؤذن  
يدوي في أرجاء المدينة ، مجلجلاً مخترقاً السكون والصمت :

« الله أكبر ، الله أكبر ، أشهد أن لا إله إلا الله ، أشهد أن  
لا إله إلا الله ، أشهد أن محمداً رسول الله ، أشهد أن محمداً رسول  
الله ، حي على الصلاة ، حي على الصلاة ، حي على الفلاح ، حي  
على الفلاح ، الله أكبر ، الله أكبر ، لا إله إلا الله » .

كانت هذه الكلمات الجميلة تنعشني ، وتبعث في نفسي شعوراً  
بالراحة والروح : شأنها في كل مكان ، وفي كل الأوقات .

إن هذه الكلمات التي دوت في ( المدينة المنورة ) على لسان  
( بلال ) رضي الله عنه ، أخذت تدوي عبر القرون ، في الشرق  
وفي الغرب ، إلى أن دوت في أثناء العبور ، ودوت على أرض  
سيناء ، فبعثت في جنودنا روح اليسالة ، والنضال ، والتفاؤل ،  
وأصابت جنود ( إسرائيل ) بالهلع والرعب .

كانت « الله أكبر ، الله أكبر » تدوي في الفجر في « سرايفو » ،  
والفجر في هذه المدينة يبدأ في الساعة الثالثة ، بل قبلها في هذا  
الشهر - شهر مايو - :

وكنت أستيظ مع الكلمات الأولى للمؤذن ، وبعد الصلاة ،

أجد فراغاً - لا بأس به - للكتابة ، وأجد انتعاشاً أحدثه الأذان ،  
وأحدثه الصلاة .

وكانت الكتابة سهلة ميسرة ببركة الأذان ، وبركة الصلاة ،  
وبركة سيدى ( عبد السلام ) فكان القلم يجرى ، وكأن الكتاب  
يكتب نفسه .

وما إن انتهت إقامتى ( بيوغوسلافيا ) ، وما إن نزلت من الطائرة  
على أرض مصر الطاهرة ، إلا كنت قد انتهيت من مسودة هذا  
الكتاب ، اللهم إلا ما كان محتاجاً منه إلى بعض المراجع فى القاهرة .  
إن الله سبحانه يضع - أحياناً - البركة فى الزمن ، كما يضع  
البركة فى الطعام مثلاً : هل سمعت بما يسميه الصوفية : « انفساح  
الزمن » ... ؟ !

ولا أظن أن هذه الصورة التى رسمتها عن سيدى ( عبد السلام )  
ستغير فى يوم من الأيام ، ذلك أنى جمعت عنه كل ما يمكن  
جمعه ، ولم يعد - بعد البحث - أمل فى مزيد من النصوص .  
أما هذا الذى يريد المزيد ، فعليه بأقطاب المدرسة الشاذلية ،  
فإنهم الامتداد الموفق ، للتيار الصوفى النقى الصادق ، الذى رسمه  
القطب الشهيد .

## الفصل الأول

بين أبي الحسن الشاذلي

عبد السلام<sup>و</sup> بن بشيش

شعر ( أبو الحسن الشاذلي ) بالرغبة الملحة في القرب من الله ،  
وفى أن يستضيء قلبه بنور المعرفة ، وفى أن يكشف الله له الحجب .  
كيف يروى هذه الرغبة ؟

كيف يسير فى الطريق ؟

من أين يبدأ ؟

لقد رسم الأول الطريق .

إن البدء ، البدء الميسر السهل ، البدء الذى يأمن الإنسان  
عواقبه ، إنما يكون طريقه خبير ، سبر الطرق ، ومحض السبل ،  
وكشف عن المزالق والأخطار ، واستتار قلبه بالطريق القاصد إلى  
الله .

أين يجد هذا الشيخ ؟ ما السبيل إليه ؟

إن بغداد - منذ عهد العباسيين - كانت دائماً محط أنظار طلاب  
الدنيا ، وطلاب الدين .

لقد كانت تضم كبار الفقهاء ، وأعلام المحدثين ، والقمم العوالى  
من الصوفية ، كما تضم كبار الساسة والقادة .

كان ذلك فى عهدها الزاهر ، فهل يا ترى هى كذلك ، فى  
القرن السابع الهجرى ؟

وإذا لم يكن لها كل البريق المادى الأول ، فهل بها على الأقل  
من الصوفية من يرسم الطريق عن خبرة ، ومن يسلك بالمريد السبل  
دون أخطاء ؟

وتحمل الرغبة الملحة ( أبا الحسن ) على السفر ، إنها هجرة إلى الله ، إنها هجرة النفس الطموح الشفافة .

وهي هجرة يسير بها الأمل ، ويخللها الإشفاق ، وتصاحبها في كل الأوقات أسئلة ، لا جواب لها :

هل سيجد الشيخ ؟ وكيف يكون ؟

وهل سيتقبله الشيخ بقبول حسن ؟ وبم سينصحه ؟

وإذا لم يجده في بغداد فأين يجده ؟

انتهى به المطاف إلى بغداد ، والتقى بالأولياء ، وكان قمتهم في نظره هو « أبو الفتح الواسطي » يقول « أبو الحسن » :

لما دخلت العراق اجتمعت بالشيخ الصالح ( أبي الفتح الواسطي ) فما رأيت بالعراق مثله .

ولكن همة « أبي الحسن » كانت تسمو إلى البحث عن القطب ذاته ، إنه كان يريد أن يكون قائده هو القطب نفسه ، أين يجد القطب ؟

ما هو ذا بالعراق ، وما هم أولاء الصالحون ، وأولياء الله يتردد عليهم كل يوم . وما هو ذا يرى النور على وجوههم ، والصالح يرتسم على سيماهم ، ولكنه لم يجد القطب ، وهو مطلوبه ، وذات يوم قال له أحد الأولياء :

إنك تبحث عن القطب بالعراق ، مع أن القطب ببلاذك ، ارجع إلى بلاذك تجده . وعاد « أبو الحسن » من حيث أتى ، عاد يحدوه

الأمل ، ويعمره الرجاء ، لقد صدق الولي الذي أنبأه بأن القطب  
في بلاده ، وبأنه سيحده عند عودته .

وعاد يسرع الخطا ، ويستحث الوصول ،

هو ذا « بغمارة » من جديد يسأل عن القطب ،

إنه يسأل عنه المقل ، والمدير ، والراحل ، والمقيم

أقول أكاد اليوم أن أبلغ المدى فيبعد عني ما أقول أكاد

\*\*\*

أسألكم عنها فهل من مجبر      فمالي بنعم مد نأت دارها علم  
فلو كنت أدري أين خيم أهلها      وأى بلاد الله - إاد ظعنوا - أموا  
إذن لسكا مسك الريح حدها      ولو أصبحت نعم ومن دونها السجم  
وذات يوم ! :

كان لهذا اليوم قصة ، وكان فيها طرافة ، وكان لهذا اليوم آثاره  
الضخمة ، وذلك أن الشيخ « عبد السلام » كان يسكن في معارة  
بعلى الجبل ، يتعبد فيها ، ويبيت بها ،  
ولما استأذن عليه « أبو الحسن » قال له :

« اذهب فاعتسل »

وكان بحوار معارة ماء للاغتسال وللوضوء ، فذهب « أبو الحسن »

واغتسل ، ثم عاد إلى الشيخ فقال له « اذهب فاعتسل »

ودهب « أبو الحسن » مرة أخرى فاعتسل ، ثم عاد إلى الشيخ ،

فقال له من جديد : « اذهب فاعتسل » .

وفكر « أبو الحسن » في الأمر ، وركز انتباهه في الموضوع ،  
ونبش له في وصوح أنه يعتز بعلمه ، ويعد بعبادته .

كان « أبو الحسن » - إذ ذاك - فتى فيه طموح إلى العلم ،  
وترود منه بقدر كبير ، وكان فيه شغف بالعبادة ، فكان يقوم ليله ،  
ويصوم بهاره ، وكان فرحاً بعلمه ، مسروراً بعبادته ، فكان في  
نفسه شيء من آثار ذلك  
عزة بالعلم .

اعتداد بالعبادة .

ولما فكر فيما يجول بشعوره ، ووضح له الأمر ، عمره نوع  
من الخجل ، فتاب وأناب ، واعتسل من عرته بعلمه ، ومن اعتداده  
بعبادته ، ووطن نفسه على أن يلتقى بالأستاذ وهو على طهارة من  
كل ما يتصل بالمعسر والخيلاء .

أُريت إلى موسى عليه السلام حينما التقى بالحضر عليه  
السلام، وقال له : ﴿ هل أتبعك على أن نعلّمَ كما علمت رشداً ﴾<sup>(١)</sup> .

إن موسى - عليه السلام - حينما ابتدأ بكلمة « هل » تحرد  
بدلك حتى من الإرادة نفسها ، فهو لم يقل : إني أريد ، أو إني  
عازم ، بل ولا : إني أرغب ، أو أحب ،

إن كلمة « هل » هت كل ذلك ، ونفت الإنية ، وجردت  
موسى عليه السلام من تصميم المعترين ، ومن إرادة المعتدين ،

---

(١) الكهف . ٦٦

وتلت كلمة « هل » كلمة أخرى ، تثبت التواضع ونهى الكبر ،  
وهي : أتعتك ؟ إذ أن موسى عليه السلام لم يقل أرافقك ، أو  
أزاملك أو أصاحبك ، وإنما : أتعتك

إن المرید مع شيخه والتلميذ مع أستاذه ليس له إلا :

« هل أتعتك » ،

فإن كان شعوره يخاف ذلك فإنه لا يصح أن يكون مريدًا ،  
ولا يصح أن يكون تلميذًا ، وهو بحاجة إلى الأمر الحاسم

« اذهب فاعتسل »

فإن ذهب واعتسل ، فقد تأهل بحير ، وإلا فلا فائدة فيه

والاعتسال كما يكون من خبثات النفس ، ومن همسات الشعور ،  
يكون - ومن باب أولى - من المعصية ،

ولاعتسال من المعصية ، إنما يكون بالعودة إلى الله في تواضع ،  
وهي تصرع ، وفي عبودية تلجأ إلى الله تعالى طالبة العفو والمعزة .  
فإذا اعتسل الإنسان واتجه إلى الله في صدق قائلاً .

﴿ يا طمأنينة نفسي ، وإن لم تغفر لنا وترحمنا ، سكوس من  
الحاسرين ﴾ ، فإن الله تعالى يقبله في عباده ، ويصيح بذلك في  
جو أرضه الإلهي ، أما إذا لم يعتسل فليس له إلا الطرد من رحمة  
الله .

إن قصة آدم ، وقصة إبليس ، فيها عظة وعبرة .

وهذا لظهر من المعصية ، هو أول ما يلقيه الشيخ للمريد ، بل إن الشيخ في تلقيبه التوبة للمريد يتوب هو الآخر معه ، ويستعصر مع مريده ، وفي كل مرة يعطى العهد ، يشعر هو في نفسه بالقص والتقصير ، ويدجأ إلى الله تعالى سائلاً لعفو ، والمغفرة

وإن من الأمور الملاحظة العميقة الدلالة ، أن الأولياء في نهاياتهم همهم كل همهم - طيب العفو . كما يقول ذلك « أبو يريد البسطامي » .

إنهم يتأسون في ذلك برسول الله - ﷺ - فإنه صدوات الله وسلامه عليه حسماً ( برئت سورة النصر ) ، التي تنعى إلى رسول الله ﷺ نفسه :

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم : إذا جاء نصر الله والفتح ، ورأيت الناس يدخلون في دين الله أفواجا ، فسبح بحمد ربك ، واستعفره ، به كان توليا ﴾ (١) .

أكثر رسول الله - ﷺ - من الذكر بقوله :

« سبحان الله وبحمده ، أستعصر الله وأتوب إليه » .

حتى لقد لاحظت ذلك السيدة « عائشة » رضي الله عنها .  
روى الإمام ( أحمد ) بسنده عن « عائشة » رضي الله عنها قالت :

---

(١) النصر : ١ - ٣

كان رسول الله ﷺ يكثر في آخر أمره من قول « سبحان الله وحمده ، أستعمر الله ، وأتوب إليه » وقال :

إن ربي كان أحمرى ، نبي سارى علامة في أمتي ، وأمرى إذا رأيتهما أن أسبح بحمده واستعمره إنه كان تواباً ، فقد رأيتهما .

﴿ إدعاء نصر الله والفتح ، ورأيت الناس يدخلون في دين الله أفواجا ، فسبح بحمد ربك ، واستعمره ، إنه كان تواباً ﴾

ونعود بعد ذلك إلى « أبي الحسن » ، إنه يقول :

خرجت عن عدي وعمل ، وطعنت إليه فقيراً ، ودا به هابط على ، وعيه مرقعة ، وعلى رأسه قسوة من حوص ، فقال لي .

مرحاً « بعلي بن عبد الله بن عبد الجبار » ، وذكر نسي إلى رسول الله ﷺ ، ثم قال لي :

يا علي ، طلعت إليك فقيراً من عمك ، وعملت ، فأحدثت من عني الدنيا والآخرة ، فأحدثني من الدهش ، فأقمت عنده أياماً إلى أن فتح الله علي بصيرتي .

من هو ذلك العارف بالله ؟

من هو هذا القطب ؟

الفضل الثاني

حياة ابن بشيش

من هو هذا القطب ؟

« ابنه الولي . الكبير ، سيدنا عبد السلام بن بشيش »<sup>(١)</sup> . يقول عنه صاحب الدرر البهية :

هو القطب الأكبر ، والعلم الأشهر ، والطود الأظهر ، العالی السنام

وهو الدر الطامع ، الواصح البرهان ، العبي عن التعريف والبيان المشتهر في الدنيا قدره ، والذي لا يختلف في غوثيته اثنان وطريقه تزيان شاف ، لأدواء العباد ، وذكره رحمة بارلة في كل ناد .

سرى سره في الآفاق ، وسارت بمنقه الركبان والرفاق قصى عمره في العبادة ، وقصده للارتفاع به أهل السعادة وكان رضى الله عنه في العلم في العاية، وفي الزهد في السهاية، جمع الله له الشرفين الطيبى والدينى، وأحرز الفصل المحقق البقيى « هـ . ويتحدث « ابن عباد » عن مكنته المرموقة بالمعرب ، فيقول : ولقد كان مقام « ابن بشيش » في المعرب كمقام الشافعى بمصر ، ويتحدث « ابن الكوهن » في كتابه طبقات الشاذلية عن ( ابن بشيش ) فيقول : كان علاوة على علو همته وحاله . عالماً فاضلاً

---

(١) ابن بشيش بالياء وبالياء يعال بشيش ويعال مشيش وقد مرنا على التسمية بابن بشيش ، بالياء

جليل القدر ، لا يحرف عن حادة الشريعة قيد شعرة ، متحمساً للدين ، عاملاً على شر فضائله ، وهو رجل من آل أبيات ، فيه ما فيهم من صفات : الاتحاف إلى الله ، الرهد ، الشجاعة ، الأريحية ، ويتصل نسبه بسيدنا احسن رضى الله عنه

وانحه « ابن بشيش » مد بواكير حياته إلى الله ، وألف العبادة والسك من صغره ، حتى ليقول « أبو الحسن الشاذلى » رضى الله عنه . إنه سلك الطريق إلى الله منذ أن كان عمره سبع سنين .

وهو في هذا يشبه الولي الكبير العالم العابد « سهل بن عبد الله التستري » ، فكلاهما وكثير غيرهما دخل فيمن يظلمهم الله في طله ، يوم لا ظل إلا ظله ، يقول رسول الله ﷺ فيما رواه البخارى وغيره . « سبعة يظلمهم الله في طله ، يوم لا ظل إلا ظله . إمام عادل ، وشاب نشأ في عبادة الله ، ورجل قلبه معلق بالسجد ، إذا حرج منه حتى يعود إليه ، ورجلان محبا في الله ، فاجتمعا على ذلك وافترقا عليه . ورجل ذكر الله خالياً ففاضت عيناه ، ورجل دعت امرأة ذات مصيب وحمال فقال إني أخاف الله رب العالمين ، ورجل تصدق بصدقة فأخفاها ، حتى لا تعلم شمانه ما تمق بيمينه » .

لقد كان « ابن بشيش » واحداً من هؤلاء ؛ إذ يصدق عليه أنه شاب نشأ في عبادة الله . وأنه ممن ذكر الله خالياً ففاضت عيناه

وبعد أن سار « ابن بشيش » في العبادة أشواطاً وبلغ مبلغ انقياد ، طهر به - كما يقول « أبو الحسن الشاذلى » - من الكشف أمثال الجبال ، وهو مازان بعد في بواكير مشايه .

ثم خرج إلى السياحة ، وأقام في السياحة ست عشرة سنة كاملة ،  
والسياحة كلمة شريفة ، وصف الله بها المؤمنين ذكوراً وإناثاً ،  
قال سبحانه في أوصاف المؤمنين :

﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنْ لَهُمُ الْجَنَّةُ ،  
يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ، فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ ، وَعَدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَةِ ،  
وَالْإِنْجِيلِ ، وَالْقُرْآنِ ، وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ ، فَاسْتَشِرُوا بِيَحْكُمِ  
الَّذِي بَايَعَهُمْ بِهِ ، وَذَلِكَ هُوَ الْقُورُ الْعَظِيمُ ، النَّائِبُونَ ، الْعَابِدُونَ ،  
الْحَامِدُونَ ، السَّائِحُونَ الرَّكَعُونَ ، السَّاجِدُونَ ، الْأَمْرُؤُ بِالْمَعْرُوفِ ،  
وَالنَّاهُونَ عَنِ الْمُنْكَرِ ، وَخَافِضُونَ لِحُدُودِ اللَّهِ ، وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ﴾<sup>(١)</sup> .

وهذه الكلمة الشريفة من معانيها :

١ السفر عادة . إن الإنسان في وطنه نشعله مشاعل كثيرة ،  
ولابد له من حلوة مع الله ، والله ، وفي الله ، سبحانه ، خلوة يستجم  
فيها روحياً ، كما يستجم إنسان جسمانياً من تعب الجسم ، فيسافر  
مستجماً روحياً ، أي إنها سفرة عادة وتقرب ، وسفرة عظة وعبرة .  
وما من شك في أن :

﴿ . فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفَلَكَ  
الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَفْعُ النَّاسُ ، وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَاءٍ  
فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا . وَبِثِّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ ، وَتَصْرِيفِ الرِّيَّاحِ  
وَالسَّحَابِ الْمُسْحَرِينَ لِسَمَاءٍ وَالْأَرْضِ ، لَايَاتِ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾<sup>(٢)</sup> .

(١) التوبة ١١١ ، ١١٢

(٢) البقرة : ١٦٤

وانعظة والعبرة فى سفر السلك ؛ كثيرة ، وقد أكثر بعض الصوفية من السفر عبادة ، ومن هؤلاء « دو النون المصرى » ، وكانوا يسافرون على شواطئ الأنهار ، أو على مشارف الصحراء ، تضيقهم السماء ، وتقيدهم الأرض ، وبهارهم صيام ، وتفكر ، وليلهم قيم ، وتهجد ، يمكنون على ذلك أسبوعاً أو أسبوعين ، ثم يعودون وعلى وحومهم إشراف المؤمنين ، ونور الصالحين ، يتحدثون عن العبر والعظات التى صادفتهم فى سياحتهم فيسمع الله بهم ، ويكتب لهم ثواب الهادين المرشدين .

٢ ونوع آخر من معانى السياحة هو . السفر فى طلب العلم ،

لقد كانت الأمة الإسلامية مترامية الأطراف ، وكانت أمة واحدة ، لا تفصل بينها حدود ، ولا تقف فيما بينها عقبات ، وكانت كما أحب الله لها ورسم ، فى قوله تعالى :

﴿ إِنْ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُون ﴾<sup>(١)</sup> .

وفى قوله تعالى :

﴿ وَإِنْ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً ؛ وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاتَّقُون ﴾<sup>(٢)</sup> .

وهذه الأمة المترامية الأطراف تورعت - فى وضع طبيعى لا افتعال فيه - التخصصات العلمية ، لم يكن كبار المتخصصين فى إقليم

(١) الأبياء ٩٢

(٢) المؤمنون ٥٢

واحد ، وإنما كانت القسم هي أقاليم متعددة ، وكان لابد للطموحين من السياحة ، لتبقى العلم على القسم الشوامخ ، فعل ذلك الإمام « العرلى » وغيره ، كانوا يسافرون إلى مكة ، والمدينة ، وبغداد ، والقاهرة ، ودمشق ، وغيرها من عواصم العلم والفكر

وكما تعنى السياحة - إد - السر استجماماً روحياً ، وتجديداً روحياً ، فإنها تعنى السر من أجل العلم ، ولذلك كانت الكلمة كلمة شريفة ، يوصف بها المؤمنون ،

أما الآن ، فإن الكلمة مسحت في معانيها ، وأصبحت تعنى السفر للهو والعث ، وللازدىاد من الإثم ، والانغماس في المعاصي وهذا الهدف من السياحة الآن جعل الدول توفر للسائحين كل ما يتطلبه هذا الهدف من ألوان الفسق ، ووسائل الفسق .

إن الدول الإسلامية نفسها - توفر للسائحين الشراب ، بن ولا تكتفى باستيراد هذه المادة المحرمة في كل ظروفها ، ولكنها تنتجها وتصنعها وتصديرها أيضاً .

إن الحمر في الجور الإسلامى ملعونة ، كإداة سائلة ، إنها في نفسها ملعونة ، وكما لعنها الله تعالى في نفسها فإنها ملعونة في شاربها ، وفي حاملها ، وفي تاجرها ، وفي عاصرها ، وفي معنصرها ، حتى الخادم الذى يحملها من « الدر إلى الربو » داخل في إطار الدعة عند حملها ، ولكن الدول التى تعمل على أن تكون السياحة مورداً مالياً ، توفر الحمر بكل الوسائل لا تراعى في ذلك ديناً ، ولا خلقاً .

وأنه لم المعلوم لدى اصحاب والعام أن « البيرة » نوع من البمر ، وبذلك قال تقارير المؤتمرات الدولية في أوربا وأمريكا ، التي يحضرها الصيادلة والأطباء ، وعلماء النفس ، وعلماء الاجتماع ، باحثين في البمر وضررها ، وتوفر الدول للسائحين الدعارة ، والصلات الجنسية في « الكباريهات » والوادي الليلية ، وغيرها ، ولا تراعى في ذلك أيضاً ديناً ولا خلقاً

وأصبحت كلمة « السياحة » هي المفتاح السحري الذي يفتح على كل محرم ، ويبيح كل محرم .

والمسلمون يعلمون - ولا فيحب أن يعلموا - هذا البقر المؤكد :

﴿ ولو أن أهل القرى آموا وانتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء والأرض ، ولكن كذبوا ، فأخذناهم بما كانوا يكسبون ﴾<sup>(١)</sup> وليعلم المسلمون أنه إذا كانت السياحة مورداً لمال محرم ، فإن هناك آفات تمحق ما تأتي به السياحة ، بل وتمحق أضعفه ، في آفات تزل من السماء ، وتسبع من الأرض ، وهناك المرائم التي تأتي على الأموال ممثلة في السلاح ، وعلى الأرواح ، وهناك تحلى الله سبحانه عن المتكئين عن صراطه .

وبينما تكون حماية الله ورعايته وتوفيقه ، وعمايته وبركاته ، موفرة للمستجيين له ، يكون مقتته وغضبه موفرًا من حادوا عن الطريق ، لقد كتبت صحيفة عربية في يوم من الأيام أن إنتاج « البيرة » حقق ربحاً مليون جنيه وأعلنت « شركة إنتاج لبيرة » ذلك في بحر وحيلاء ،

---

(١) الأعراف ٩٦ .

فى الأسبوع نفسه كُتبت الصبغة نفسها أن ( البما ) حقت  
حسائر ( ثمانية ملايين من الجبهات ) ، إن الربح المحرم يقابله خسائر  
مصاعفة ،

ولكن :

﴿ من عمل صالحاً من ذكر أو أنثى وهو مؤمن ، فلنحيينه حياة  
طيبة ، ولنجزيهم أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون ﴾<sup>(١)</sup> .

ويقول تعالى :

﴿ ومن يتق الله يجعل له مخرجاً ، ويرزقه من حيث لا يحتسب ،  
ومن يتوكل على الله فهو حسبه ﴾<sup>(٢)</sup> .

ويعود إلى الشيخ « ابن بشيش » .

لقد سار على سنة أسلافه ، فسافر متعبداً ، وسافر متعلماً ، يقول  
أحد مؤرخيه .

« أنواره مد كال فى المهد صيا ، ثم طوى فى السياحة فى  
صباه الأرض طياً » .

شيخه :

ومد وقع له أثناء سياحته أنه بات ليلة فى معارة ، وببما هو  
يتعد إذ رأى شيخاً يدخل عليه المعارة ، فقال له .

من أنت ؟

---

(١) النحل ٩٧

(٢) العلق ٢ ، ٣

فقال الشيخ :

« أنا شيخك ، منذ أن كنت ابن سبع سنين ، وكل ما كان يصلك من البارلات فهو مني ، وهي كذا وكذا ، فحدثه بجميع ما جرى له من الأمور :

« وشيخه الذي حدث عنه هو سيدي « عبد الرحمن بن الحسين المدني الشريف » ، المدعو « بالريات » ، سكناه بحارة الرياتين بالمدينة المنورة على ساكنها أفضل الصلاة والسلام »

وم يذكر له صاحب « لطائف المنن » سوى هذا الشيخ ،

ولكن المؤرخين يقولون :

« أخذ الطريقة عن أكابر ، منهم . الشيخ « عبد الرحمن المدني » ، وسواء أكنّا بصدد الشيخ « عبد الرحمن المدني » أم كنا بصدد شيوخه الآخرين فإننا لا نكاد نعلم من أمرهم شيئاً .

ولكن المهم هو أن نقف قليلاً عند أمر « الشيخ »

لقد حمل كثير من أعداء التصوف على وضع الشيخ عند الصوفية ،

يبد أن وضع الشيخ عند الصوفية أمر طبيعي ، إنه حبير درس الطريق ، وسار فيه ، وسلكه ، وعرف مزائقه ومحاطره ، وعرفه دراسة ، وعرفه ممارسة ، وعرفه دوقاً ، وعرفه حالاً ، وعرفه شعوراً ، وهو يرسم من يريد السلوك ، ويقود المريد فيه مرحلة ، مرحلة ، إلى أن ينتهي به إلى القرب ، ثم يكون المريد بعد ذلك شيخاً ، يرسم الطريق للمريدين .

يقول صاحب « الرسالة القشيرية » :

يحب على المريد أن يتأدب ، بشيخ فإن لم يكن له أستاذ لا يفلح أبداً . هذا « أبو يزيد » يقول من لم يكن له أستاذ ، فإمامه الشيطان ، وسمعت الأستاذ ( أبا علي اندقاي ) يقول :

الشجرة إذا نشت بنفسها من غير عارس فإنها تورق ، لكن لا تثمر كذلك المريد إذا لم يكن له أستاذ يأخذ منه طريقته بنفساً مفسداً ، فهو عابد هواه ، لا يجد نفاذاً .

ويقول الحكيم الفرسى « ربيه حينو » الدى سلم ، وحسن إسلامه ، وعاش فى مصر فترة طويلة من الزمن :

ولابد من التصرف من شرط جوهرى . هو « التأثير الروحى » . أو تعبير أدق « البركة » ، وهى لا تنأتى إلا بواسطة « شيخ » ، ومن هنا كانت السلسلة ، وهل السلسلة إلا بركات تنقل من شيخ إلى مريد ، يوشك أن يصحح شيخاً ، فيؤثر بدوره فى مريد أو مريدين ، إن التصوف ليس عملاً عَمياً ، ولا بحثاً نظرياً .

إنه لا يتعلم بواسطة الكتب على الطريقة المدرسية ، بل إن ما كتبه كبار مشايخ الصوفية أنفسهم لا يستخدم إلا كحافز مقو للتأمل ، والإنسان لا يصير بمجرد قراءته متصوفاً ، على أن ما كتبه كبار الصوفية لا يفهمه إلا من كان أهلاً لفهمه .

ويقول :

إن من شروط التصوف : الانتساب إلى « سلسلة » صحيحة ، يد أن البركة التى تحصل من الانتساب إلى السلسلة الصحيحة هى

الشرط الأساسي الذي لا يصل الإنسان بدونه إلى أى درجة من درجات التصوف ، حتى ابتدائية منها ،

ثم يأخذ المتصوف ، الطيب الفطرة ، الذى باركه شيعه فى الجهاد الأكبر : التأمل الروحى ، وفى الذكر : أى استحضار الله فى كل ما يأتى وما يدع ، وفى تركيز الدهن فى الملا الأعلى ، فيصل - موقفاً - من درجة إلى درجة ، حتى يصل إلى أعلى الدرجات ، وهى حالة تسمو على حدود الوجود المؤقت ، فيصبح ربانيا ، ذلك هو الصوفى المحقق ،

هذا ما كان من أمر الشيخ ،

ولقد كان المسيح « عبد الرحمن المدنى » شيخ « ابن بشيش » ، وكان ابن بشيش شيخاً لشاذلى ، ثم كان الشاذلى شيخاً لأبى العباسى المرسى « وغيره وهكذا .

أما عن حياته بعد أسياحة رضى الله عنه - فيه لم يكن يتطلع إلى شهرة ، ولا إلى رعاة ، وقد هص قلبه من حب الريسة ، وذلك أن وجهته . الله ، ومن كان كذلك لا يتطلع إلى الناس ، لقد بالغ فى إخفاء نفسه ، حتى يكون سره مع الله دائماً ، يقول أحد مؤرخيه .

« توارى عن الأعين ، وتناعد عن الظهور ، وتجرد للعبادة ، وفر بنفسه عما الناس فيه من الفتن ، وعاب عن الخلق ، فى شهود حلال الحق » .

ولقد كان « ابن بشيش » يدعو الله فى السحر أن يصرف

عنه الخلق ، وأن يجعله بمعزل عنهم ، وبما يدل على بعض ذلك ما ورد عن الشيخ « أبي الحسن الشاذلي » ، قال رضى الله عنه : كنت فى سياحتى ، فأُتيت إلى عار لأبيت فيه ، فسمعت فيه حس رجل ، فقلت : والله لا أشوش عليه فى هذه الليلة ، فبت على فم العار ، فلما كان عند السحر سمعته يقول :

اللهم إن قواماً سألوك إقبال الحق عليهم ، وتسحيرهم لهم ، فسحرت لهم حلقك ، فرضوا منك بذلك ،

اللهم إني أسألك إعراصهم عني ، واعوجاجهم علي ، حتى لا يكون لي ملجأ إلا إليك ،

قال : ثم خرج ، فإذا هو أستاذي ( ابن مشيش ) فقلت له : يا سيدى ، إني ممعتك البارحة تقول : ( كذا ، كذا ) ،

فقال لي : يا على ، أيما خير لك أن تقول : كس لي ،

أو تقول : سخر لي قلوب حنقك ؟

هكذا كان لك ، كان لك كل شيء ،

كان ( ابن بشيش ) رضى الله عنه مكتفياً بالله ، محباً للحلوة مع الله ، مشوقاً دائماً إلى أن يكون فى حصرة الجلال ، والجمال ، مستعدباً الوحدة ،

ولعل لما يفسر حبه - أيضاً - للحلوة ، وصيته ( لأبى الحسن ) رضى الله عنهما حينما قال له يوماً ما : أوصنى :

قال : اهرب من حير الناس ، أكثر مما تهرب من شرهم ، فإن

شرهم يصيبك في بدنك ، وحيرهم يصيبك في قلبك ، ولأن تصيب  
 في بدنك خير لك من أن تصاب في قلبك ،  
 وكان هذا الكلام بيان سؤاله من الله عوجاج الحلق عليه ،  
 فيضاف إلى تعليل الشيخ نفسه حينما قال :  
 حتى لا يكون لي ملجأ إلا إليك ،  
 وما يمكن أن يذكر في ذلك أيضاً أن « أبا الحسن » حينما  
 أوشك على فراق أستاذه قال له :  
 يا سيدي أوصني ؟ فقال :

يا علي ، الله الله ، والباس الناس ، لره نسانك عن ذكرهم ،  
 وعلبك عن التماثيل من قسهم ، وعلبك بحفظ الجوارح ، وأداء  
 الفرائض ، وقد تمت ولاية الله عندك ، ولا تذكرهم إلا بواجب  
 هو لله عبدك ، وقد تم ورعك ، وقل : اللهم أرحني من ذكرهم ،  
 ومن العوارض من قسهم ، ونحني من شرهم ، واغني بحيرك عن  
 حيرهم ، وتوطني بالخصوصية من سيئهم ، إنك على كل شيء قدير ،  
 ومن أجل ذلك لم يكتب عنه المؤرخون ، وأكثر كتب الطبقات  
 أعماله ، وذكره لا يكاد يوجد إلا عند المؤرخين للشاذلي رضي الله  
 عنه ، أمثال ( ابن عطاء الله ) في لطائف المسر ، ( ابن انصاغ )  
 في درة الأسرار ،

ولكن كراماته الكبرى توجد في أمرين .

١ - تربيته للشاذلي : وفي ذلك يقول أحد مؤرخيه هذه الكلمات  
 النفيسة : « الشاذلي درة ، في جملة عقود بحره »

« ولما أحفاه الله في عالم الشهود ، جعل تلميذه بدلاً عنه في عالم الظهور العياني ، فكان التعريف بالتلميذ شرحاً لحاصية الأستاذ في الحقيقة ، ولا سبيل إلى تصورهما للتصديق بها إلا من تلك الطريقة ، إذ لم يشك أن أحداً بقيه سواه ، أو أن لأحد حديثاً في حقه عن غيره رواه »

أرشد إليه من العراق ، بعد أن صرب يتطلب القصب ، في بعد الآفاق ، مع أنها في الشاة من بلد واحد ، رأس كل منهما غير متباعد ،

ونسبتهما أيضاً متحدة ، فالأستاذ من بيبي الحقيقة ( محمد بن إدريس ) رضوان الله عليهم ، فولا أنه احترق في طلب الحفاء السبع الطباقي ، لما بلغ ( أبو الحسن ) في طلبه حد لعراق ، وبعد ما بينهما مسيرة بعض اليوم في المحلة المصيلة بأطراف القوم ،

قال القطب مولانا أبو الحسن علي بن عبد الله عبد الحمار « المدعو » الشاذي الحسني الإدريس » بفع الله به على نقل ( ابن الصباغ ) رحمه الله - :

لما دخلت لعراق اجتمعت بالشيخ الصالح ( أبي لفتح الواسطي ) ، وما رأيت بلعراق مثله ، وكان مطلبي على القطب ، فقال لي بعض الأولياء :

أنت تطلب القطب وهو ببلادك ، ارجع إلى بلادك نجده .

قال ( ابن الصباغ ) :

فرجع إلى بلاد العرب ، إلى أن اجتمع بأستاده ، وهو الشيخ

أولى العارف الصديق القطب العوثل سيدى « أبو محمد عبد السلام بن بشيش » ، الشريف الحسنى .

ورسم ( ابن بشيش ) حياة ( أبى الحسن ) فيما يستقبله من أيام ، وذلك أنه حينما انتهت مدة إقامة « أبى الحسن » عنده قال له .

يا على ، ارتحل إلى إفريقية ، واسكن بها بلداً تسمى ( بشادلة ) . فإن الله عز وجل يسميك . ( الشادلى ) ، وبعد ذلك تنتقل إلى أرض المشرق ، وبها ترث القطابة ..

إن هذا المهج الذى رسمه ( ابن بشيش ) ، وهو يطر إلى الغيب ، بور الله ، قد تحقق حريباً .

وتربيته ( للشادلى ) إحدى كبرى كراماته ، ذلك أن ( الشادلى ) رضى الله عنه رأى ، وما زال يُرى ، أجيالاً .

إن طريقته التى انتشرت - شرقاً وغرباً ، ما زال رجالها ينبعون الجهاد فى سبيل الله بهداية ناس إليه ، وهى طريقة

تلتزم : الشريعة ، وتلتزم الدعوة إلى العلم

وتلتزم أسوة برعمائها - الجهاد الحربى ، حينما يدعو الداعى ، كما فعل ( أبو الحسن ) وأتباعه فى معركة المصورة ، التى كلفها الله بنصر مؤزر ،

وتلتزم فى كل ذلك الاقتداء برسول الله ﷺ

وهؤلاء الملايين من أتباع الطريقة الشاذلية ، وهم أباء

( الشاذلى ) ، هم فى الوقت نفسه - عن طريق الشاذلى أبناء  
( عبد السلام بن بشيش ) :

إنها كرامة ( لابن بشيش ) ، كما هي كرامة ( للشاذلى ) ،  
وتسير الحياة بابن بشيش رجاء من قبل لقاء ( الشاذلى ) به ،  
ومن بعده

لقد كان سعيداً بعبادته : بصيامه ، بعبادته ، بمكره فى خلق  
السموات والأرض .

كان راضياً مطمئناً فى بهجة بالأس بالله ، ومن طريف ما يروى  
مصوراً هذه الحياة الرضية ( أن أنا الحسن ) رضى الله عنه  
دخل عليه ذات يوم معارة ، ويقول ( أبو الحسن ) :  
فأرعبت من هيئته ، فقلت :

يا سيدى ، كيف حالتك ؟

فقال : أشكو إلى الله من برد الرضا ، والتسليم ، كما تشكو  
أنت من حر التدبير والاختيار ،

فقلت يا سيدى ، أما شكواى من حر التدبير والاختيار ،  
فقد دقت ، وأنا الآن فيه ،

وأما شكواك من برد الرضا والتسليم ، فبماذا ؟

فقال : أخاف أن تشعنى حلاوتهما عن الله تعالى :

لقد كان فى برد الرضا والتسليم ، بل كان يشكو إلى الله برد  
الرضا والتسليم ، ولكن :

وهنا نبدأ الحديث عن الكرامة الثانية :

٢ - أما الكرامة الثانية فإنها التي أخرجت ( ابن بشيش ) من خلوته ، وقهرت به من اعزلة إلى صدر المجتمع ، هائجاً مرمجاً ، أرأيت إلى الأسد انصبوب ، أرأيت إلى البطل يلقى بنفسه في حصم المعركة ، مستميتاً ، لا يهاب السيوف ، ولا يحشى الملاقاة ؟ لقد كان ذلك حال ( ابن بشيش ) حينما علم أن ( ابن أبي الطواجين الكتامي ) ادعى النبوة ،

لم يكنف ( ابن أبي الطواجين الكتامي ) بالقيام بثورة ، مترعماً لها ، وإنما خرج على الحكم مدعيًا النبوة ، وأتى بحيل وألاعيب ، مديرة ، محكمة ، ليطهر بها ، وكأنه صاحب معجزات ، وخيل إلى بعض السذج أن سحره حقائق ،

لقد سحر أعين الناس ، واسترهبهم ، فاتبعوه :

اتبعه البعض مخدوعاً ،

واتبعه البعض طمعاً وشهوة ،

واتبعه البعض رهبة ،

فعدت في الأرض فساداً ، قاتلاً ، سافكاً ، مستحلاً ما حرم الله

ولقد سار في تيار ادعاء النبوة كثيرون ، تقودهم نزعات عدة :

فبعضهم سار فيها حسداً يرسل وكبراً ، وكان إمامهم ( مسيلمة

الكذاب ) ، وكانت إمامتهم ( سجاح ) ، وتقاسما النبوة ، حينما

تزوج ( مسيلمة ) ( سجاح )

لقد سلمت له ، وسم لها .. لقد سلما لبعضهما ، واتفقا على

أن يستمر في المسرحية الكاذبة ، وفي الكذب الذي خال على بعض  
الناس ، حتى هزمهم الله شر هزيمة .

وبعضهم أقامه الاستعمار بيئاً

وقد بعث الاستعمار بيبيين ، بعثهما بالدعاية ، وبالمال الكثير :  
أحدهما ( علام أحمد القادياني ) .

كان عبداً من عبيد الاستعمار ، وعملاً له ، وحادماً دليلاً لإلنحليل  
في الهند . لقد كان عبد المسلمين في الهند إبء وشتم ، وكانوا  
يحاربون لإلنحليل في مهارة وبسالة ، مؤميين بالجهاد ، فقام ( علام  
أحمد ) يعرض أن الجهاد في الدين الإسلامي قد انتهى : لقد ألعى  
الجهاد كمبدأ من مبادئ الإسلام ،

ولكن الجهاد فرصة بي مرسل . فلا يعنيه إلا نبي مرسل .  
فادعى النبوة . وكان لا مناص من ادعاء النبوة لإللاء للجهاد ، فما أتى  
به نبي ، لا ينسحه إلا بي ،

ماذا يفعل في قول القرآن الكريم عن الخبيث المصطفى ﷺ

« ونحائم لتبيين » ؟

لقد ريف لها تفسيراً ، وهي لا تحتمل التريف ، لأن القرآن  
يتحدث عن هذا في غير موضع ، ولأن الرسول ﷺ تحدث عن  
هذا ، وتحدث الصحابة ، ومن حكمة القراءات أن كلمة « نحائم »  
في الكلمة القرآنية الكريمة قرئت بفتح التاء ، وقرئت بكسرها ،  
فسدت كل ما قبل التريف وانصلال ،  
ونقد صمن الله حفظ القرآن :

﴿إنا نحن نزلنا الذكر ، وإنا له لحافظون﴾<sup>(١)</sup>

لقد صمم الله سبحانه حفظه بالأسلوب الإلهي نفسه ، لم تتبدل منه كلمة بكلمة ، ولا حرف بحرف

والقرآن هو الرسالة ، ومعنى حفظه أنه رسول دائم للإنسانية ولقد كانت حاجة الإنسانية إلى رسل تشر بالتوحيد ، لأن كتب الرسل السابقين كانت تحرف ، وتبدل ، بعد انتقامهم إلى رحمة الله ، حتى إذا ما كانت إرادة الله في حتم النبوات ، أنزل القرآن ، وصمم حفظه ، فلم يعد هناك سبب ولا حاجة لبعث رسول جديد

ولكن (علام أحمد) ضرب بكل ذلك عرص الحائط ، وأطاع أمياده الإنكليز ، وادعى السوة ، وألغى الجهاد

ولقد أحسب حكومة (الباكستان) كل إحسان ، حسيما أعنت بعد دراسته محكمة أن القاديايه أقلية غير إسلامية

وبعث الإنكليز نبيا آخر ، هو (رعيم البهائية) ، وقد ادعى النبوة هو الآخر ، وألغى الجهاد

والعاء الجهاد صانع مثير لعملاء الاستعمار ، (البهائية) يعمرها الاستعمار بموانه ، ويعمرها برعايته ، بل وتعمرها إسرائيل برعايتها وعابستها ، وذلك أنها تؤدي بحث كل ما يتطلبه اليهود في لعرب والمسلمين :

التفرقة ، والعاء الجهاد

---

(١) الحجر : ٩

وكل حركة تقوم في العصر الحاضر تلغى الجهاد ، أو تؤججه ،  
أو تربطه بشرط كذا أو كذا ، من شروط لا تنصل باستكمال الإعداد ،  
والاستعداد ، فهي حركات يعيها الاستعمار ، ويمولها في سحاء .  
لقد ختمت السموات برسول الله ﷺ ، وهذا الاعتقاد من مروض  
العقيدة الإسلامية ، وكل من يقوم مدعيًا النبوة يجب على المسلمين  
مقاومته .

ومن هنا كانت ثورة الإمام ( ابن بشيش ) على ( ابن أبي  
الصواجن ) ،

لقد حمل ( ابن بشيش ) على ( ابن أبي الطواجن ) وعلى أتباعه  
بالمنطق ، وبالأداة الدينية ، لقد حمل عليهم بالقول ، والعمل ، حملات  
شعواء حفرتهم على الكيد ، وتدير مؤامرة بقتله ، ليتخلصوا من  
حملاته .

لقد أرادوه على السكوت ، فلم يسكت . لم يسكت مع الترغيب ،  
ولم يسكت مع التهيب ، وأدى حق الله في الوقوف في وجه  
المسكر

وانتهت به الحياة غيلة في سنة ( ٦٢٣ )<sup>(١)</sup> تقريبًا ، فكان شهيد  
الذود عن الإسلام ، وعن شريعة الله : آخر الشرائع ، وحاتمة  
الرسالات .

ويقول الإمام ( الشاذلي ) : إنه حين أقام عنده رأى له .

(١) هناك اختلاف بين المؤرخين في سنة استشهاده ، قال البعض سنة ٦٢٢ هـ وقال  
آخرون سنة ٦٢٣ هـ ، وقال فريق ثالث سنة ٦٢٥ هـ ، وهي تواريخ متعارفة

« خوارق عادات ، وكرامات »

فصها - مثلاً رسمه لحياة ( أبي الحسن ) من الذهاب إلى  
تونس ، وعصب السلطان عليه فيها ، ثم الذهاب إلى مصر ، ووراثه  
القصبانية بها ، ومنها كما يقول ( أبو الحسن ) نصاً :

« كنت يوماً جالساً بين يديه ، وفي حجرى ابن له صغير ،  
يلعب ، فحظر لى أن أسأله عن اسم الله العظيم الأعظم ، قال :  
مقام إلى الولد وأمسك بيده فى طوقى وهرنى ، وقال

يا ( أبا الحسن ) ، إنك أردت أن تسأل الشيخ عن اسم الله  
الأعظم ، ليس الشأن أن تسأل عن اسم الله الأعظم ، إنما الشأن  
أن تكون أنت هو اسم الله الأعظم ، يعنى أن سر الله مودع فى  
قلبك ،

قال : فابتسم لشيخ وقال لى : جاولك هلال عى ، وكان يد  
داك قطب الزمان .

## بين الطريقة والطريق

يمكن أن يقال إن طريقة الإمام ( ابن بشيش ) هي طريقة الإمام ( الشاذلى ) .

ولكن يمكن أن يقال من رواية - من النظر - أخرى .

إن ( عبد السلام ) رضى الله عنه به طريق ، وليس له طريقة ، إنه كان مبتعداً عن الناس ، لا يعطى عهداً ، ولا يكف أوراذاً . ولا أحزاباً ، فلم يؤسس طريقة ، وإنما كان يرسم فى كل لحظة من لحظات حياته الطريق ، وطريقه هو الطريق الشرعى

وجوهر هذا الطريق . وهو لصلاة على الرسول ﷺ بعد الانتهاء عما نهى الله عنه ، وإتيان بما فرض الله تعالى .

ومن بعداً لها مباشرة بذكر الصلاة البشيشية . نذكرها أولاً جملة ، ثم نذكر شرحاً لها مختصراً من شرح الشيخ ( الصاوى ) . وهو لعام الجليل الذى ألف كتباً ، من أنفسها تعليقه على تفسير الحلالين ، وفيه الكثير من الإشارات الإلهامية التى توضح بعض معانى آيات الكريمة .

وها هى الصلاة البشيشية

اللهم صل على من منه انشقت الأسرار . وانعلقت الأنوار ، وفيه ارتقت الحقائق ، وترلت علوم آدم فأعحر الحلائق ، وله تصاءست

المهوم . فسم يدركه منا سائر ولا لاحق ، فرياض الملكوت بزهر  
جماله موقنة ، وحياص الحيروت بفيض أنواره متدفقة ، ولا شيء  
إلا هو به موص ، إذ لولا الواسطة لذهب كما قيل الموسوط ،  
صلاة تليق بك منك إليه ، كما هو أهله .

اللهم إبه شرك لجامع ، الدال عليك ، وحجابك الأعظم . القائم  
لك بين يديك .

اللهم ألحقني بنسبه ، وخصمي بحسه ، وعرفني إياه ، معرفة  
أسلم بها من موارد الجهل ، وأكرع بها من مورد الفصل ، واحملني  
على سبيله إلى حصرتك حملاً محموقاً بصيرتك ، واقذف بي على  
الباطل فأدمغه ، ورح بي في بحار الأودية ، وانشئ من أحوال  
التوحيد ، وأنقذني في عين بحر الوحدة ، حتى لا أرى ، ولا أسمع .  
ولا أجد . ولا أحس إلا بها ، واجعل الحجاب الأعظم حياءً روحي ،  
وروحه سرّ حقيقتي ، وحقيقته جامع عوالم

يا أول ، يا آخر ، يا ظاهر ، يا باطن . اسمع بدائي بما سمعت به  
بداء عبدك ركرباً ، وانصربي بك لك ، وأبدي بك لك ، واجمع  
بي وببك ، وحل بي وبين غيرك .

الله ، الله ، الله

﴿إِنَّ الدِّينَ فَضْلُكَ عَلَى الْقُرْآنِ لِرَادِّكَ إِلَى مَعَادٍ﴾<sup>(١)</sup> .  
﴿رَبَّنَا آتِنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً ، وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا﴾<sup>(٢)</sup> .

(١) الناصر : ٨٥

(٢) الكهف . ١٠

﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾<sup>(١)</sup> .

وهذا شرح الصلاة احتصرناه من شرح الإمام ( الصاوى ) ،  
العالم العارف ، صاحب التعليق المشهور على تفسير الجلالين ، وفيه  
من الإلهامات الكثير ، يقول الإمام ( الصاوى ) :

ثم شرع فى صلاة بحر الحقائق والعلوم سيدى ( عيد السلام  
ابن بشيش ) - بالباء الموحدة ونميم - فقال :

« اللَّهُمَّ صَلِّ : ارحم رحمة مقرونة بالتعظيم .

» على من « الموصول عائد على النبى ﷺ ، وأبهمه ، لتعلم  
به ، وإشارة إلى مزيد تعظيمه ، لأن الإبهام قد يؤتى به لتعظيم ،  
كما فى قوله تعالى :

﴿فَغَشَّيْهِمْ مِنْ أَلَيْمٍ مَا عَلَيْهِمْ﴾<sup>(٢)</sup> .

﴿الْحَاقَّةُ ، مَا الْحَاقَّةُ﴾<sup>(٣)</sup> .

﴿الْقَارِعَةُ ، مَا الْقَارِعَةُ﴾<sup>(٤)</sup> .

« منه اشتقت الأسرار » : صفة من ، أى انفتح ياب لأسرار ،  
وهى جمع سر ضد الجهر ، والمراد : اتضح به كل ما كان حقيقيا ،

---

(١) الأحزاب : ٥٦ .

(٢) طه . ٧٨ .

(٣) الحاقة . ١ ، ٢ .

(٤) القارعة . ١ ، ٢ .

« واهبقت الأنوار » : أى افتتح باب الأنوار الحسية والبعوية ،  
وتعيره أولاً ( بانشقت ) ، وثانياً ( بانفلقت ) تفنن ، دفعاً للثقل ،  
« وفيه ارتقت الحقائق » أى فى المصطفى ظهرت حقائق الأشياء ،  
هو بمرلة السماء ، والحقائق بمرلة الكواكب .

« وتنزلت علوم آدم » : أى وفيه نزلت علوم آدم .

والمراد بعلوم آدم : علم جميع الأسماء ،

فأعجز بذلك الملائكة ، حيث أمرهم الله تعالى بقوله حل ذكره

﴿ أستوى بأسماء هؤلاء إن كنتم صادقين ﴾<sup>(١)</sup>

فعجزوا ، فقال :

﴿ يا آدم أنبئهم بأسمائهم ﴾<sup>(٢)</sup> .

فجميع العلوم التى نزلت على آدم نزلت على المصطفى ﷺ ،  
وزاد علم حقائق المسميات .

« فأعجز » : جميع .

الخلايق أى المخلوقات ، ملائكة ، وغيرهم ، حتى آدم ، فعلم  
آدم لم يعجز إلا الملائكة ، وعلمه ﷺ أعجز الأولين والآخرين

« وله تضاءلت الفهوم » . أى تصاغرت أفهام الخلايق عن إدراك

حقيقة النبى ، ولذلك قال ﷺ . « لا يعمنى حقيقة غير ربي » ،  
وهذا معنى قول البوصيرى

---

(١) البقرة ٣١

(٢) البقرة ٢٣

أعيا الورى فهم معهه فليس يرى للرب والبعده فيه غير منمحم  
ولذلك علله بقوله :

« فلم يدركه منا سابق ولا لاحق » .

أى معشر المخلوقين من أول الزمن إلى آخره ، فهم يقف له  
أحد على حقيقة فى الدنيا ، أما فى الآخرة فتدرك حقيقته لكشف  
الحجاب عن الحقائق ، قال البوصيرى :

إما مثلوا صغانتك لى س كما مثل لسحوم الماء

وقال فى البردة :

وكيف يدرك فى الدنيا حقيقته قوم ينام تسوا عنه بالحلم  
« فرياض الملكوت برهر جماله موقنة » : إضافة الرياض إلى  
ما بعده من إضافة المشبه به للمشبه .

والرياض : جمع روضة ؛ بمعنى بساتين .

والملكوت معاب عنا كالجنة والعرش والكرسى .

ورضافة رهر للحمال من إضافة المشبه به للمشبه أيضا

والرهر فى الأصل اسم للور الذى يكون فى البساتين .

وموقنة . مربية ، شبه تربيته لملكوت بترين الرهر بالرياض  
فكما أن بساتين مربية بالرهر ، فملكوت مزين بحماته

وحاصل ما فى المقام أن العوالم أربعة :

عالم الملك : وهو ما ظهر لنا .

وعالم الملكوت . وهو ما عاب عنا من المحسوسات ، كالأجرة ،  
والنار ، والعرش ، والكرسی ..

وعالم الجبروت . وهو علم الأسرار ، والعلوم والمعرف

وعالم العزة : وهو ما احتص به من علم ذاته وصفاته .

« وحياض الحروب ببيض أنواره متدقة » . جمع حوص ،  
وهو في الأصل : محل صب ماء ، وتقدم أن الجبروت هو عالم  
الأسرار والعلوم ..

والباء في ( بفيض ) بمعنى من ،

والتدق : الامتلاء ، فشبه قلوب العارفين بخياض ، وشبه عدمه  
بالبحر ، فتلك الخياض أى القلوب متدقة بمنثلة من ذلك البحر ،  
الذى هو علم النبى ﷺ ،

« ولا شيء إلا وهو به منوط » : أى معلق ،

« إذ لولا الواسطة ، لذهب كما قبل المتوسط » : هذا علة لقوله :  
ولا شيء إلا هو به منوط ،

وبين المراد من قولنا : قيل . صيغة التضعيف ، وإنما المراد  
السببية ، أى كما قال العارفون قولاً قوياً يعتمد عليه ، ومنه قول  
بعضهم :

وأنت باب الله أى امرئ أنا من غيرك لا يدخلك

« صلاة تليق بك ، منك إليه ، كما هو أهله » . صلاة مفعول  
مطلق لقوله : صل .

وما بينهما اعتراض .

وقوله تليق بك : أى بحجابك وإحسانك .

ومنتك إليه : أى واصله منك إليه .

وقوله كما هو أمته . الكاف تعليلية ، أى لأجل أنه أهله ؛ لأنه لا يعرف قدره إلا أنت .

« اللّهم » : أى يا الله .

« إنه » : أى المصطفى .

« سرّك » : أى المسمى بهذا الاسم

« الجامع » . أى لجميع ما نترك في غيره من الكمالات والعلوم ، والمعارف ، والبركات ، والمعجزات ،

« الدال عليك » . أى الذى يدل الحلائق ويوصلهم إليك ،

« وحجابك الأعظم » : أى المانع الأعظم ، فهو حجاب بين الله وبين خلقه ، فلا يمكن أحدًا الوصول لله إلا بواسطته ، أو حجاب بمعنى . مانع المضار الدورية والأخروية عن أمته .

والأعظم صفة لحجاب .

ووصفه بالأعظم لأن الأشياء حجب أيضًا لأئمتهم ، فهو أعظمهم ، وكذا الشيخ حجاب تلاميذه ، فلك حجب خاصة ، والمصطفى ( ﷺ ) هو الحجاب الكل .

« نقائم لك بين يديك » : أى الداعى الخلق إليك بك من

غير واسطة يسلك وبينه ، والمراد : أنه قائم بمحصرة القرب المعوى ،  
مهملك في طاعتك<sup>(١)</sup> ..

(١) ولا يقتصر تعظيم المصطفى صلى الله عليه وسلم على أمثال الشيخ ، بل تعد بهرت  
عظمته صلى الله عليه وسلم كبار المفكرين من غير المسلمين ، فقد كتب الأستاذ « أحمد  
خاكي » في مجلة الكتاب الجزء العاشر من السنة الخامسة مقالاً عن محمد ، مسرحية  
حاول كتابتها ( براردشو ) ، ومما قال فيه :

أما المثل الأعلى للشخصية الدينية عندنا فهو « محمد صلى الله عليه وسلم » ، فهو يمثل في  
النبي العربي ، تلك الحماسة الدينية ، وذلك الجهاد في سبيل التحرير من السلطة ، وهو يرى  
أن خير ما هي حياة النبي أنه لم يدع سلطة دينية سحرها ، في مرب صيوى ، ولم يحاول  
أن يسيطر على قلوب المؤمنين ، ولا أن يحاول بين المؤمنين وره ، ولم يحرص على المسلمين أن  
يتحدوه وسينة لله تعالى

لست أدري على التحقيق في أى الكتب درس ( براردشو ) تاريخ النبي ، ولا التطور المعنى  
الذى درج فيه حتى وصل إلى هذه المبادئ

لكن لعله قد نقل المفكر - أول ما نقلها - عن ( نومس كارليل ) حين اتخذ حياة النبي  
مثلاً لبطلونة الرسل والأنبياء ، ولمعه بعد ذلك قرأ حياة النبي في بعض ما كتبه المستشرقون ،  
على أن شيئاً واحداً ثبت عندما من كل ذلك ، هو أنه قرأ القرآن الكريم قراءة الفاحص  
النارس ، وتشبع بروح القرآن الكريم في كثير مما كتبه عن النبي وعن الإسلام

كان ( براردشو ) معجباً به ، وكان يرى في حياة الجهاد التي عاشها النبي شيئاً بالحيوة  
المثالية ، التي أراد هو نفسه أن يعيشها ، وبع به الإعجاب أن حاول قبل سنة ١٩١٠ أن  
يكتب مسرحية عن محمد

إنه يعلم أن التمثيل أقوى أنواع الدعاية ، وأن كتابة المسرحية أهم أنواع الفن ، فلا عليه  
بعد ذلك إذا حاول أن يصور بطله الدينى في مسرحية عامة ، ثم هو يعلم أيضاً أن المسرحية  
لا تكتب لتمثيل فقط ولا يراها الناس فحسب ، بل هو يعلم إلى ذلك أنه سيكتب للمسرحية  
مقدمة ، وسيشر في هذه المقدمة آراءه الدينية ، من حيث الكفاح في سبيل حرية الرأي ،  
ومن حيث الخلاص من التعصب الأعشى ، ومن حيث التحرر من استعمار السلطة

لقد أراد أن يكتب مسرحية ( محمد ) لبقى بأرائه هذه في صعيد واحد  
حيماً بدت منه هذه الرعية جابته التقاليد ، التي درجت عليها إنجلترا في مسائل مسرح ،  
فهي إنجلترا وظيمة ورثها البلاط الأنجليكاني من عهد الملكة ( اليراث ) ، وعلى صاحب =

ولما استحصِر عظمة المصطفى ( ﷺ ) بتلك الأوصاف المتقدمة  
انتهى لم تكن مخلوق سواه ، تصرع لربه بقوله .

« اللَّهُمَّ : أَيْ يَا اللَّهُ

« أَلْحَقْنِي » . أَوْصَلِي

« بِسَبَبِهِ » . هو دين الإسلام ، ولذا قال ﷺ : آل محمد كل

تقى .

« وَحَقَّقْنِي بِحَسَبِهِ » المراد بالحسب هنا التقوى ، أَيْ أَرْزُقْنَا  
تقواك بضاعتك وضاءة رسولك ، فأكون محققاً بها ، فإن الحسب  
ما يفتخر به من مكارم الأخلاق ، قال تعالى :

﴿ إِنْ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتَقَوْكُمْ ﴾ « الحجرات : ١٣ » .

وقال لنوصيري في حق آل بيت النبي ( ﷺ ) .

سدتكم لباس التقى وسواكم سودته البيصاء ولصفراء

« وعرفني بياه » أَيْ يَا اللَّهُ عرفني ذلك الحبيب .

« معرفة » : معمول مصلق لقوله عرفني .

---

= هذه الوظيفة أن يقرأ كل مسرحية قبل تمثيلها ، وعليه بعد ذلك أن يصدق

عليها أو يلعبها

وتقدم ( برناردشو ) برعيته في كتيبة مسرحية عن محمد ، إن صاحب هذه الرقابة ، لكن  
صاحب الرقابة رفض التصريح به بذلك ، وقال في رفضه إنه لا يجوز أن يمثل النبي العربي  
على خشبة المسرح ، فقد يحتج على ذلك السعير التركي ، وقد يؤدي ذلك إلى الجحوة بين  
الإنجليز والترك ، ولعل صاحب الرقابة قد أخذ رأي السعير التركي ، ولعل السعير التركي  
هو الذي يؤدي امتناعه لجرد التفكير في تمثيل النبي ، لأنه أسنى من أن يكون موصوفاً  
بالمثل

« أَسْلَمَ بِهَا » : أَيْ بِسَبَبِ تِلْكَ الْمَعْرِفَةِ

« مِنْ مَوَارِدِ الْجَهْلِ » : الْمَوَارِدُ جَمْعُ مَوْرِدٍ وَهُوَ مَكَانٌ وَرُودُ الْمَاءِ .

وَالْجَهْلُ : صِدْقُ الْعِلْمِ ، وَالْمَرَادُ الْجَهْلُ الصَّارِفِي الدِّينِ ، فَشَبَّهَ لِلْجَهْلِ بِمَاءٍ مِنْ سَمٍّ ، فَكَمَا أَنَّ السَّمَّ مَهْذُكٌ لِلْأَيْدِي فَالْجَهْلُ مَهْذُكٌ لِلْأَدْيَانِ .

« وَأَكْرَعَ » : أَشْرَبَ .

« بِهَا » : أَيْ بِتِلْكَ الْمَعْرِفَةِ .

« مِنْ مَوَارِدِ الْفَضْلِ » . صِدْقُ الْجَهْلِ ، فَقَدْ شَبَّهَ الْعِلْمَ الْبَاقِعَ بِالْمَاءِ الرَّالِ بِجَمَاعٍ أَنَّ كَلَامِيهِ حَيَاةٌ ، فَإِنَّ الْعِلْمَ فِيهِ حَيَاةُ الْقُلُوبِ وَالْأَرْوَاحِ ، وَبِأَنَّ فِيهِ حَيَاةَ الْأَجْسَادِ وَالْأَشْيَاحِ .

« وَاحْمِلْنِي عَلَى سَبِيلِهِ إِلَى حَضْرَتِكَ حَمَلًا مَحْفُوفًا بِبَصْرَتِكَ » . الْحَمْلُ فِي الْأَصْلِ هُوَ الرُّكُوبُ .

وَالسَّبِيلُ : الطَّرِيقُ

فَقَدْ شَبَّهَ الطَّرِيقَ بِدَايَةِ تَرْكِبٍ إِلَى دَارِ الْمَلِكِ ، وَطَوَى ذِكْرَ الْمَشْهَرِ بِهِ ، وَرَمَزَ لَهُ بِشَيْءٍ مِنْ لَوَازِمِهِ وَهُوَ الْحَمْلُ .

وَالْمَعْنَى : اسْلُوكِي طَرِيقَتَهُ ، وَاجْعَلِي عَامِلًا بِشَرِيعَتِهِ ، مَحْفُوظًا مِنْ كُلِّ عَائِقٍ حَتَّى أَصِلَ إِلَيْكَ بِعَاقِبَتِكَ .

« وَاقْدُوفِي بِي عَلَى الْبَاطِلِ فَأُدْمِعْهُ » . أَيْ احْمَرِي الْحَقَّ مَعِيَ ، وَمَصْحُوفًا بِي ، فَأُدْهِبْ بِهِ إِلَى الدُّخْلِ فَأُدْمِعْهُ ، قَالَ تَعَالَى

﴿ من نقذ باحق على الباطل ويدمعه فإد هو زاهق ﴾ (١)  
الباطل كل ما شغل عن الله تعالى .

وامعى اجعلنى مهدياً فى نفسى ، مهدياً لغيرى  
« ورج بى فى بخار الأحدية » : أى أدخلى فى توحيد الأحدية  
الشبيه بالبحر ، وهو الفناء عن سوى الذات العليا ، فلا يشهد سواها  
فى طاهره وباطنه ، ويقال لصاحبها هو فى مقام الفناء ، وفى  
عين الجمع ، المعبر عنه بتجريد التوحيد .  
« واتشلىنى » : أى خلصى سريعاً .  
« من أوحال » : محارف .

« اتوحيد » . إنما قال ذلك عقب قوله « ورج بى » ، لئلا  
لأن صاحب الفناء إن لم تدركه العناية أنكر ثبوت الآثار ، ومنها  
الرسول ، وما جاءوا به ، والعالم برمته .  
ومعى تحليصه من تلك الأوحال نقبه بمقام البقاء . فلذلك قال :  
« وأغرقنى » : أى راجعنى مستغرقاً .  
« فى عين » : ذات .  
« بحر » : توحيد .

« الوحدة » : وهو شهود اندات متصفة بالصفات ، ويسمى صاحبه  
فى مقام البقاء . وفى مقام جمع الجمع ، يستدل على لصنعة بالصانع ،  
لكونه لا يشهد إلا الله وصفاته ، والصنعة آثار صفاته ، فلذلك قال :

---

(١) الأنبياء : ١٨

حتى لا أرى ، ولا أسمع ، ولا أجد ولا أحس إلا بها : فيكون  
جامعاً بين مقام الفناء ، ومقام البقاء ، كمن أحيى بعد الموت ،  
وقال العارف بالله سيدى ( محمد بن وفا ) رضى الله عنه .  
وبعد الفناء فى الله كرم كيمما تشا فعلمك لاجهل وعلمك لاورر

نبيه .

قد علم مما تقدم من قوله « واحمنى على سيله » إلى ثلاثة  
مقامات . مقام المحجوبين ، اسائرين إلى الله ، المستدلين بالصعقة  
على اصناع ، أفاده بقوله : واحمنى على سيله إلى حصرتك ، إلى  
آخره .

ومقام أهل الفناء المحض ، الذين عرقوا فى توحيد الأحدية ،  
فلم يشهدوا سوى ذات الله تعالى ، وقد أفاده بقوله : ورج بى  
بى بحار الأحدية .

ولما كان مقام سكر ، وخروج عن طور البشرية ، وعن حد  
التكليف قال : وانشلى ، الخ .

ومقام أهل البقاء بعد الفناء ، وهم الذين يشاهدون الصعقة بوحود  
الصانع ، لكونهم شهدرا قبل كل شىء ذات مولاهم ، وصفاته ،  
وأسماءه ، وقد أفاده بقوله : وأغرقى فى عين بحر الوحدة ، الخ ،  
وهذا معنى حديث :

« لا يرال عبدى ينقرب إلى بالوافل ، حتى أحبه ، فإذا أحببته ،  
كنت سمعه الذى يسمع به ، وبصره الذى يبصر به ، ويده التى  
يبطش بها ، ورجله التى يمشى بها » إلخ ..

فأشار في الحديث إلى مقام السائرين بقوله . ولا يرال عدى  
يتقرب إلى بالنوافل .

وإلى مقام المناء المحض بقوله : حتى أحبه .

وإلى مقام بقاء بقوله فإذا أحسته كنت سمعه ، الح ، ومعه  
كنت مشهوده قبل سمعه ومسموعه ، وبصره ومبصره ، ويده  
وبطشها ، ورجله ومشبها ، يكونه يشهدى قل كل شيء ، وهذه  
آثارى لا ترى له إلا بعد شهودى . وهو معنى قول بعض العرفين  
عن الحصرة العبية :

تلك آثارنا تدل علينا فانظروا بعدا إلى الآثار  
فقوله « تلك آثارنا » أمرنا بالسير لمن يستدل بالصحة على الصانع  
وقوله « فانظروا بعدا » أى بعد المناء فيما يسيركم إليها إلى الآثار .  
أى فاشهدوا آثارنا بعد شهودنا ، وهذا مقام النقاء ، وهذا المعنى هو  
الذى قال فيه سيدى ( عبد العسى البلبسى ) :

كل شيء عقد جوهر حلية الحسن المهيئ  
ولما كان كان العبودية ، وكال التوحد والمعرفة ، لا يتم لصاحبه  
إلا بالاستقاء من يد المصطفى ﷺ قال .

« واجعل الحجاب الأعظم حياة روحى » .

المراد بالحجاب هو المصطفى ﷺ ، كما تقدم أنه يسمى الحجاب  
الأعظم ، والبرزخ الكلى ، ويعبر ذلك

والمعنى : مد روحى من النبى ﷺ كما بعد العود الأحصر عد  
الماء ، فكما أن أمياه حياة الأبدان راسنات ، هو ﷺ حياة الأرواح

وروحها ، فالأرواح التي لا تشاهده ولا تستقي منه كُنْها :موات ،  
وهي أرواح أهل الكفر والعصيان .

وروحه سر حقيقتي . أي اجعل روحه ذاكرة لإسائيتي في المِلا  
الأعلى ، وجد لي بكل خير ، لأني إذا م يتوجه إلى حسرت وندمت .  
وحقيقته جامع عوالمى : أي اجعل كل أحرائي مشغولة به طاهرًا  
وباطنًا ، ولا أتعلق بغيره ، بل أكون تابعًا له في كل ما أمر به ،  
وبهى عنه ، كما قال ( أبو الحسن الشاذلى ) رضى الله عنه

( لو غاب عني رسول الله ﷺ طرفة عين ، ما عددت نفسي  
من المسلمين ) .

( بتحقيق الحق الأول ) ، أي العهد الأول ، يوم . أَلست بربكم ،  
يَحتمل أن تكون الِباء للقسم ، والمعنى : أقسم عليك يارب بتحقيق  
الحق الأول أن تستجيب لي ما دعوتك به .

ويَحتمس أن الِباء لمصاحبة متعلقة بالدعوات المتقدمة من قوله .  
« ورح بي » إلى هنا ، فيصير المعنى . رح بي في بحر الأحدية  
رحمة موافقة لتوحيدى الأول ، ونشئ من أوحال التوحيد بشئة  
مصاحبة للتوحيد الأول ، وأغرقى في عين بحر الوحدة عرقه موافقة  
للتوحيد الأول ، واجعل الحجاب الأعظم حياه روحى جعلًا مصاحبًا  
للتوحيد الأول ، وهكذا ..

يا أول : الذى ليس قبله شيء ، أو الذى لا افتتاح بوجوده  
يا آخر : الذى ليس بعده شيء ، أو الذى لا انقضاء لوجوده  
يا ظاهر : الذى ليس فوقه شيء ، أو الذى ظهر بصعده وأفعاله .

يا باطل . الذى ليس دونه شيء ، أو الذى نجيب عما يجلاله .

اسمع ندائى : سماع قبول ورجابة

بما سمعت به نداء عبدك ( ركز ) . أى بمثل ما سمعت به  
نداء عبدك ( ركز ) ، حيث قال . ﴿ رب لا تذرني فردا ؛ وأنت  
خير الوارثين ﴾<sup>(١)</sup> . قال تعالى .

﴿ فاستنحنا له ، ووهبنا له يحيى ﴾<sup>(٢)</sup> عبيهما انصلاة والسلام .

وانما حص ( ركز ) دون غيره من الأنبياء ، لأنه طلب أمرا  
عظيما وهو ( يحيى ) عليه السلام ، فورثه فى النبوة ، والعلوم ،  
والمعارف ، فطلب الشيخ من الله أن يهبه حليمة ، وارثا له ، مثل  
حليمة ( ركز ) ، فأعطاه الله القطب الكبير ( أبا الحسن الشاذلى ) ،  
فورثه فى الصريق ، والعلوم ، والمعارف .

وانصرنى بك : أى قونى بحولك وقوتك .

لك : أى لوجهك ، لا لأعراض نفسى .

ويدي بك . أى سر من عندك قوة إيمان وصبر على البلاء ، بحيث  
تصير البلاء عطايا ، فأصير شاكرا على السراء ، حامدا على الضراء .

لك : أى لمَرْضاتك .

واجمع بينى وبينك أى أرل حجاب الغفلة وكل شاعل يشعلنى  
عندك ، ولا تحجبني عن مشاهدتك طرفة عين .

---

(١) الأنبياء ٨٩

(٢) الأنبياء ٩٠

ومحل بينى وبين غيرك : من كل قاصع يقطعنى عنك ، فالجمل الأربع متقاربة ، والدعاء محل إصااب .

( الله ، الله ، الله ) : كره ثلاثاً ، إشارة إلى أن المراتب ثلاثة .  
توحيد الأفعال والصمات .

وقيل الحكمة فى ذلك أن النبى ﷺ كان يلقن أصحابه الذكر ثلاثاً .

وقيل . الحكمة فى ذلك ، أن درج المبر النبوى ثلاث ، مكان النبى ﷺ كلما صعد على درجة قال . الله ، فاقتدى به :  
وقيل : فى الحكمة فى ذلك أن الله وتر .

وقيل . الحكمة فى ذلك أن المومس ثلاثة : أمانة ، ولؤامة ، ومطمئنة .

فإذا قال « الله » أولاً ، حرح من الأمانة

وإذا قال : « الله » ثانياً ، خرج من اللؤامة .

وإذا قال « الله » ثالثاً ، وصل إلى المطمئنة .

﴿ إن الذى فرص عليك انقرآن لرادك إلى معاد ﴾ (١)

الحكمة فى ذكر الآية ، أن الآية قبلت للنبي ﷺ ، فكأن المصنف يقول . أصدقت وعد حبيبك فأصدق وعدى ، بأن تلحقى به  
ربما آتانا من لديك رحمة . أى أعطنا رحمة من عندك

وهيء لنا من أمرنا رشداً . أى يسر لنا ، والرشاد ضد اضلال  
والغنى :

﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا  
عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾<sup>(١)</sup> .

ختم بهذه الآية دليلاً لصلاته ، فكأنه يقول . إنما وصفت تلك  
الصيغة ، وصيت بها على النبي ، وذكرته بتلك الأوصاف ، لأن  
الله وملائكته يصلون على النبي ، والمؤمنون - جميعاً - مأمورون  
بدلك فيقتديت به ، وامثلت لأحور الشرف .

وعود إلى الطريقة والطريق عند « ابن بشيش » .

يقول الشيخ ( أبو الحسن ) : دخل رجل على أستاذى فقال  
له : وظف لى وطائف وأوراداً .

فغضب الشيخ منه وقال له .

رسول أنا ! أوجب الواجبات ؟

المرائض معلومة ، والمعاصى مشهورة ، فكفى للمرائض حافظاً ،  
وللمعاصى رافضاً ، وحفظ قلبك من إرادة الدنيا ، وحب النساء ،  
وحب الحياه . وإيثار الشهوات ، ووقع من ذلك كله بما قسم الله  
لك إذا خرج لك مخرج الرضا ، فكفى لله فيه شاكراً ، وإذا  
خرج لك مخرج السخط ، فكفى عنه صابراً ، وحب الله قطب  
تدور عليه جميع الحيرات ، وأصل جامع للأنوار والكرامات

---

(١) الأحزاب ٥٦

ومصدر ذلك كله أربعة :

صدق الورع ، وحسن النية ، وإخلاص العمل ، ومحبة العلم .  
ولا تتم لك هذه الحملة إلا بصحبة أح صالح ، أو شيخ باصم ،  
من ذلك يرى أن الشيخ لا يوجب أوراداً ، ولا أحراباً ، ويبدأ  
بالأساس ، والأساس أمور .

١ أداء الفرائض : والفرائض معلومة ، إنها من البداءة في  
الجزء الإسلامي ، ومع أداء الفرائض يجب رفض المعاصي حملة ،  
والمعاصي مشهورة معروفة ، وأداء الفرائض ورفض المعاصي هو  
التقوى ، ويقول الله تعالى في حديث قدسي . « وما تقرب إلى  
عبدى بشيء أحب إلى من أداء ما افترضته عليه » . ولقد سئل  
أحد الصحابة رصوان الله عليهم عن التقوى فقال للناس .  
أما سرت في طريق فيه شك ؟

قال : نعم سرت .

قال له : ماذا فعلت ؟

قال : شمرت ، واجتهدت .

قال : فذلك هو التقوى

إنها تشمير عن المعاصي واجتهاد في الطاعات .

فإذا ما فعل الإنسان ذلك حقق التقوى ، وإذا ما حقق التقوى  
أصبح في رعاية الله :

﴿ومن يتق الله يجعل له مخرجاً، ويرزقه من حيث لا يحتسب﴾<sup>(١)</sup>

---

(١) الطلاق - ٢ ، ٣

ومع أداء الفرائض واجتناب النواهي هناك أمور هي كالتفصيل  
هذا الإحمال ، إنه يقول واحفظ فلك من إرادة الدنيا .

والدنيا في الجهر الإسلامي : يفسرها آيات من القرآن الكريم ،  
يقول تعالى :

﴿ رين للناس حب الشهوات من النساء ، والبنين ، والقنطير  
المقطرة ، من الذهب والمضة والحيل المسومة ، والأنعام ؛ واخرث ؛  
ذلك متاع الحياة الدنيا ، والله عنده حسن المآب ﴾<sup>(١)</sup> .

ويقول سبحانه :

﴿ إنما الحياة الدنيا لعب ولهو وريبة ، وتفاخر بيسكم ، وتكاثر  
في الأموال والأولاد ، كمثل غيث أعجب الكفار نباته ، ثم يهيج  
فتراه مصفرا ، ثم يكون حطامًا ، وفي الآخرة عذاب شديد ، ومغفرة  
من الله ورضوان ، وما الحياة الدنيا إلا متاع العرور ﴾<sup>(٢)</sup> .

ويقول رسول الله ﷺ :

« إن الدنيا حلوة خضرة ، وإن الله تعالى مستحلفكم فيها فينظر ،  
كيف تعملون ، فاتقوا الدنيا واتقوا النساء »<sup>(٣)</sup> .

وقال ﷺ وهو يقرأ : « أهاكم التكاثر » .

---

(١) آل عمران . ١٤

(٢) الحديد . ٢٠

(٣) رواه مسلم والنسائي

« يقول ابن آدم : مالي مالي ، وهل لك يا ابن آدم من مالي إلا ما أكلت فأفقت ، أو لبست فألبيت ، أو تصدقت فأمضيت »<sup>(١)</sup> .

وروى ابن ماجه والترمذى وقال حديث حسن صحيح ، عن سهل بن سعد رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ :  
« لو كانت الدنيا تعدل عند الله جناح بعوضة ، ما سقى كافراً منها شربة ماء »

وروى مسلم عن المستورد قال . قال رسول الله ﷺ :  
« ما الدنيا فى الآخرة إلا كما يجعل أحدكم أصبعه هذه فى اليم فليتنظر به يرجع » .

ومن جو القرآن ومن جو السنة ، نعم أن كل ما اتصل بالشهوات والنزعات والأهواء ، إذا خرج عن حدود الشرع ، فهو الدنيا المحرمة ، أما الثراء الحلال ، وأما الاستمتاع الحلال ، فليس من الدنيا المحرمة : ﴿ قل من حرم ربه الله التى أخرج لعباده والطيبات من الرزق ، قل هى لتدبى آموا فى الحياة الدنيا خالصة يوم القيامة ، كذلك نفصل الآيات لقوم يعلمون ﴾<sup>(٢)</sup> .

وحينما نصح أهل التقوى والصلاح ( قارون ) لم يقولوا له : تخل عن المال والثراء ، وإنما قالوا :  
﴿ وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة ، ولا تنس نصيبك من الدنيا ،

---

(١) رواه مسلم .

(٢) الأعراف . ٣٢ .

وأحسن كما أحسن الله إليك ، ولا تبغ الفساد في الأرض ، إن الله لا يحب المفسدين ﴿١﴾

وهي هذه المعاني يقول رسول الله ﷺ :

« نعم المال الصالح ، للرجل الصالح »

ويقول فيما رواه أحمد ، والبخاري ، عن أبي هريرة رضى الله عنه :

« لا حسد إلا في اثنين . رجل علمه الله القرآن فهو يتلوه آناء الليل وآناء النهار ، فسمعه حار له فقال . ليتنى أوتيت مثل ما أوتى فلان ، فعملت مثل ما يعمل ، ورجل آتاه الله مالا فهو يهيكه في الحق ، فقال رجل ليتنى أوتيت مثل ما أوتى فلان ، فعملت مثل ما يعمل » .

٢ - وحب النساء والرسول ﷺ يقول فيما رواه أحمد والشيخان ، وغيرهم عن أسامة ، رضى الله عنه :

« ما تركت بعدى فتنة أضرب على الرجال من النساء »

ويقول فيما رواه أحمد ومسلم عن أبي هريرة رضى الله عنه :

صفان من أهل النار لم أرهما بعد :

« قوم معهم سياط كأذناب البقر يضربون بها الناس ، وساء كاسيات عاريات ، مميلات مائلات ، رءوسهن كأسعده البحت المائلة ، لا يدحن الحة ، ولا يحدن ريحها ، وإن ريحها ليوجد من مسيرة كذا وكذا » .

وعن أبي سعيد الخدري رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ « لا يحل لامرأة تؤمن بالله واليوم الآخر ، أن تسافر سفراً

يكون ثلاثة أيام فصاعداً ، إلا معها أبوها ، أو أحوها ، أو زوجها ، أو ابها ، أو ذو محرم منها <sup>(١)</sup> .

وروى أبو داود والترمذي عن أبي موسى رضى الله عنه عن النبي ﷺ قال :

« كل عين زانية ، والمرأة إذا استعطرت فمرت بالمجلس فهي كذا وكذا » « يعنى زانية » .

وروى ابن ماجه عن عائشة رضى الله عنها قالت .

« بينما رسول الله ﷺ جالس في المسجد دحت امرأة من مريّة ، ترفل في ريّة ها في المسجد ، فقال النبي ﷺ :

« يا أيها الناس ، نهوا نساءكم عن بس الزينة ، ولتحتري في المسجد ، فإن بنى إسرائيل لم يلعبوا ، حتى لس نساؤهم ازينة ، وتبختروا في المسجد » .

وأخرج الطبراني عن أبي أمامة قال . قال رسول الله ﷺ : أربعة لعبوا في الدنيا والآخرة وأمست الملائكة .

رجل جعله الله تعالى ذكراً ، فأث بهه ، وتشبه بالنساء

وامرأة جعلها الله تعالى أنثى فتذكرت وتشبهت بالرجال  
والذي يضل الأعمى

ورحل حصور ، ولم يجعل الله تعالى حصوراً إلا ( يحيى بن زكريا )

---

(١) روى البخارى ومسلم وأبو داود والترمذي وابن ماجه .

وروى البخارى ومسلم والترمذى عن عقبة بن عامر أن رسول الله ﷺ قال : « إياكم والدخول على النساء ، فقال رجل من الأنصار : أمرت اللحم<sup>(١)</sup> ؟ قال : اللحم الموت »

وقال فى رواية البخارى ومسلم .

« لا يخلون أحدكم بامرأة إلا مع ذى محرم » .

والواقع أنه لا بد من كلمة صريحة فى هذا المجال ، كلمة بعيدة عن القصد السيئ ، وعن التشويه والريف :

إن اختلاط النساء بالرجال ، والشباب بالفتيات ، وحنوة النساء بالرجال ، والشباب بالفتيات ، من أخطر الأمور على الرجال والنساء على حد سواء ، وإنه ما من حنوة لرجل بأنثى ، إلا كانت عواقبها وحيمة ، إذا تعددت ، بل حتى إذا لم تعدد ، وإن كل من يرى ما يحدث ويتحدث عنه الخاص والعام ، وتلوكة الألسنة ، لما يوجب الحرص الشديد فى هذه الصلات ، وعلى الآباء والأمهات : آباء الشباب وأمهاتهم ، وآباء الفتيات وأمهاتهن ، وعلى الأرواح والزوجات أن يوقفوا بالآثار السيئة للاختلاط .

وإذا كان المجتمع يتساهل عادة مع الشباب ، فإن جرمهم ليس بأقل من جرم الفتاة التى تسقط ، وكل ما يقال عن الحرية فى هذا المجال إنما هو فتنة ، وهو دعوة إلى الرجس .

وانظر إلى أى مدى يقول الشعراء عن تحربة فيما يبدو من

---

(١) اللحم : أبو الزرج ، ومن أدلى به كالأخ والعن وابن العم

وصفهم لتأثير الاختلاط ، وآثار الحلوة ، يقول بشار : ونعوذ بالله  
عما يقول :

لا يؤيسك من محبرة      قول تغلظه وإن حرحا  
عسر النساء إلى مياسرة      والصعب يمكن بعدما حمحا  
ويقول غيره ونعوذ بالله عما يقول :

إن النساء وإن وصمن بعمه      فيما يظاهر في الأمور ويكنم  
حجم أطاف به سباع حوع      ما لا يزداد فيه يتقسم  
اليوم عندك دلهما وحديثها      وعداً لعيرك كفها والمعصم  
كالخال يسكنه وتصبح غاديا      ونحن بعدك فيسه من لا تعلم  
ولقد ابتلياً بالاختلاط هي انحامعاب ، وابتلياً بالداعين إلى  
الاختلاط ، حتى في المدارس الثانوية ، وهم بذلك ييسرون مهمة  
إبليس :

﴿ ولأعينهم أجمعين ، إلا عبادك منهم المخلصين ﴾<sup>(١)</sup>

ونحن لسنا ضد تعليم الفتاة ، وإنما ندعو إلى جامعات للفتيات ،  
أو كليات ككلية بات ( جامعة عين شمس ) ، وكلية انسات  
الإسلامية .

ومهما قيل عن هذه الكليات ، ومهما أساع دعو الأعراس الحثيثة ،  
فإنه لا شك فيه أن ضرر في هذه الكليات أحف من الضرر  
في الكليات المختلطة .

(١) الحجر ٣٩ ، ٤٠ .

فيتق الله الداعون إلى الاختلاط ، وليتكاتف أهل الطهر والصفاء حتى تكون فتياتنا وسائنا بمعزل عن كل ما يمكن أن يزوج بهن فيما لا يحمد عقباه .

إنها لكلمة صريحة رأيت أنه لابد من إعلانها حتى لا نكون في عداد من يرون المكر فيسكتون عنه ، وعلى أجهزة الإعلام تقع المسئولية الصريحة في هذا المجال ، وبصفة خاصة الصحافة<sup>(١)</sup> .

#### (١) حرية الصحافة

الصحافة حرة في حدود القانون

هي حرة في حدود المستور

لكنها من قبل ذلك ومن بعده حرة في حدود الإسلام

ثم هي من قبل ذلك ومن بعده حرة في حدود الأخلاق .

على أن القانون والمستور قائمان على أن دين الدولة الإسلام ، وعلى أن الحق أساس المجتمع ، وعلى أن كل يار يهوى بأفراد المجتمع نحو الشذوذ والانحراف إنما هو يار آثم

يقول ذلك بمناسبة حديث عن حرية الصحافة وحديث عن أدب الجنس

« لا شك فيه أن أدب الجنس لا يرتبط بالخلق الكريم ، إلا بالرباط العكسي ، وأن الرجل الكريم ، على نفسه وعلى الله ، لا يسحر بل هذا المستوى المكشوف الذي لا يمثل فيه السوء الروحي ، وإنما تتمثل فيه العميقة الشهوانية الجنسية في خط مظهر يمكن أن يظهر فيه

هذا الأدب الجنسي يجد روحاً لدى المراهقين ، وهذا الروح معناه نزوة طائفة للمؤلف ، ومن أجل ذلك ، من أجل ما لا يمكنه بطريق خبيث ، يكتب الكتاب المحرور ، عن أدب الجنس .

هؤلاء الكتاب لا يعرفون الفن العبي . ولا المبادئ الشريفة ، وإنما كل مهم مال من أجل اندادات ومن أجل الجنس . أما الوطن ومصلحته وأما بعدهم مراهقين وشبههم المنبذ متأثرين بأدب الجنس ، لذلك لا يثير ضميرهم المنحل في كثير ولا قليل

بعد سارت مرزا في هذا الاتجاه بعد الحرب العاسة الأولى كانت النتيجة أن دمرتها ألمانيا في أيام معذوبة ، وبعد أعلن رعيمها لمريشال (ينان) إذ ذلك السبب في انهيارها هم يكن إلا تطبيق أدب الجنس ، والسير وراء كتاب أدب الجنس ، لتحقيق مشهم الماعه ، هؤلاء =

ولقد وصل الأمر بكثير ممن يرون هذا المكر أن لا يبشوا بكلمة ، خوفاً من أن يتهموا بالرجعية ، مع أن كل من ينكر الاختلاط والحلوة إنما يعبر عن رأى لديه ، ويعلم الوضع الإيماني الصادق . ولقد تحدث الإمام ( ابن بشيش ) أكثر من مرة عن العد عن النساء . ونرجو أن تكون كلماته شعاراً للصوفية على وجه الخصوص . وللمستمعين على وجه لعموم ، ولقد تحدث عن هذا في أيام كانت النساء فيها كاسيات ، فما بالك بساء اليوم ، وهذا التبرج لفاسح ، وهذا الاندفاع في بيار الفتنة دون نظر للعواقب ، وكثير من وسائل الإعلام تشجع وتثير الغرائز ، ولا صمير ولا حساب للدين ، ولا مراعاة للفصيدة .

وما يقال من الصداقة البريئة بين ذكر ونهى ريف وحداع ، واحب العدى في زمننا خرافة .

---

= الكتاب مثلهم في الوطن كمثل الميكروب الحيث من إن حصرهم أشد ، وكما عذرت الدولة الميكروب تنقصى عليه بالوسائل الخاسية ، وكذلك الأمر بالنسبة لهؤلاء الكتاب الذين تمثل بهم العدو الكاملة لفصيله ، وبالتالي لوطن لا يجوز قط ان تتحد حرية الصحافة دعامة نفوس للكاتب ما يشاء ، فإن مقدسات الأمة ، إذا هفمت بالأفلام الحبيثة ، فإن مصير الأمة إلى الانهيار

عن هذا يجب- في مطلق الأخلاق والوطن ، ولصالحه الأخلاق والوطن أن نصرب الدولة بيد من عديد على كل من يعيث مسداً ، في مؤسساتها ، أخلاقاً وديناً ، مسياً الدعة السائرة إلى الانحلال أدباً ، وما هي إلا انعكاسات نفس صحته ، ظهرت على قلم كاتب لا يمت إلى الدصيلة بصله

رجاؤنا إذا - حفاظاً على الدين والأخلاق والوطن ، وإنقاذاً للمراهقين أن نكون في الدولة رقابة خاصة بالكتب والصحف ، ووسائل الإعلام ، تراعى المثل العليا والمبادئ الشريفة ربان الله التوفيق

ونعود فنقول :

إننا لستنا بصدد الحديث عن تعليم الفتاة ، وإنما حديثنا منصّب على الاختلاط ، وخنزيرة الرجل بالمرأة .

٣ - وحب الجاه . « من طلب الرياسة ، وكبه الله ها » .

وروى مسلم بسنده عن أبي در قال قلت يا رسول الله ، ألا تستعصمي ؟ قال : فصرّب بيده على منكبي ، ثم قال : « يا أبا در ، إنك ضعيف ، وإنها أمانة ، وإنها يوم القيامة خزي وبداية ، إلا من أخذها بحقها ، وأدى الذي عليه فيها » .

ويقول سادات العمامة إن آخر ما يخرج من قلب الإنسان الذي يسير في معارج ، القدس هو حب الرئاسة .

وما تفرق المسمومون إن دول ودويلات وإمارات ، إلا لحب الجاه والرئاسة ، ولقد سفك في حب الرئاسة من الدماء ما لا يحصىه إلا الله .

ولقد قتل في سبيل الرئاسة الأبرياء ، وسجن كثير على مجرد الظن ، وارتكبت آثام ، وهتكت أعراض ، ودبح أطفال ، وكان ما كان من عسف شديد ، وما يزال الأمر على هذا السق ، ولا عاصم إلا الله .

٤ وإيتار الشهوات . وإن في الحلال ما يغنى عن الحرام .

ورسول الله ﷺ يقول

« لا يؤمن أحدكم ، حتى يكون هواه تبعاً لما جئت به » .

ويُثار الشهوات يقود إلى كل موبقة ، حتى إنه ليحرق الإنسان أحياناً من دائرة الإيمان .

ويُثار الشهوات هو اتباع الهوى ، وفي ذلك يقول الله تعالى .

﴿ أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ ، وَأَصْلَهُ اللَّهُ عَلَى عِلْمٍ ، وَخَتَمَ عَلَى سَمْعِهِ وَقَلْهَ وَجَعَلَ عَلَى بَصَرِهِ غِشَاوَةً ، فَمَنْ يَهْدِيهِ مِنْ بَعْدِ اللَّهِ ، أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴾ (١) .

وفي بعض من آثار الشهوات واتباع هواه ، يقول الله تعالى :

﴿ وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَاسْلَحَ مِنْهَا ، فَأَتْبَعَهُ الشَّيْطَانُ ، فَكَانَ مِنَ الْعَاوِينَ ، وَبَوَّشْنَا لْهَيْبِهِ بِهَا وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ ، فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِنْ تَحْمَلَ عَلَيْهِ يُلْهَثُ ، أَوْ تَتْرَكهُ يُلْهَثُ ، ذَلِكَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَبُوا بآيَاتِنَا ، فَاقْصُصْ الْقِصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ (٢) .

ويحتتم « ابن بشيش » هذه الصائغ بنصيحة تقننها وهي :

القناعة في كل هذه الأمور بما قسم الله تعالى ، وهو ما كان في إطار الشرع من الرزق الحلال

وقد يكون ما قسم الله تعالى هو ما يحبه الإنسان ويرضاه ، وهنا على الإنسان الشكر لله تعالى .

---

(١) العنقبة . ٢٣ .

(٢) الأعراف : ١٧٥ ، ١٧٦ .

وقد يكون ما قسمه الله تعالى لا يسير مع رعية الإنسان وأماله ،  
وهنا على الإنسان الصبر .

ولشكر والصبر من الفضائل الإسلامية ، وفيهما يقول الله تعالى :  
﴿ لئن شكرتم لأزيدنكم ﴾<sup>(١)</sup> .

ويقول سبحانه : ﴿ ومن صبرتم هو خير للصائرين ﴾<sup>(٢)</sup>  
ويقول تعالى ﴿ إنما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب ﴾<sup>(٣)</sup>  
ويقول . ﴿ واسعوا بالصبر والصلاة ﴾<sup>(٤)</sup> .

ويقول رسول الله ﷺ . « ومن يتصبر يصبره الله . وما أُعطي  
أحد عطاءً خيراً وأوسع من الصبر »<sup>(٥)</sup> .

وعن « صهيب بن سنان » - فيما رواه مسلم - قال : قال  
رسول الله ﷺ . « عجباً لأمر المؤمن ، إن أمره كله له خير ،  
وبس ذلك لأحد إلا للمؤمن ، إن أصابته ضراء شدة ، فكدحاً خيراً  
له ، وإن أصابته ضراء صيرة ، فكدحاً خيراً له »

وعن أبي سعيد وأبي هريرة رضي الله عنهما عن النبي ﷺ  
قال : « ما يصيب المسلم من نصب ولا وصب ، ولا هم ولا حزن ،

---

(١) إبراهيم ٧

(٢) النحل ١٢٦

(٣) الزمر ١٠

(٤) البقرة ٤٥

(٥) متفق عليه

ولا ذى ولا عم ، حتى الشوكة يشاكها إلا كفر الله بها من خطايه » ، والوصب : المرض .

وروى الشيخان عن عبد الله بن أبي أوفى رضى الله عنهما أن رسول الله ﷺ فى بعض أيامه التى لقي فيها العدو انتظر حتى إذا مالت الشمس قام فيهم فقال :

« يا أيها الناس ، لا تتمنوا لقاء العدو ، واسألوا الله العافية ، فإذا لقيتموهم فاصبروا ، واعلموا أن الجنة تحت طلال السيوف »

وروى أحمد - بسنده عن ( أبي رجاء العطاردي ) قال . خرج عليا ( عمران بن حصين ) وعليه مطرف من حر ، لم نره عليه قبل ذلك ولا بعده ، فقال : إن رسول الله ﷺ قال :

« من أكرم الله عليه نعمة فإن الله يحب أن يرى أثر نعمته على خلقه » .

وروى أحمد بسنده عن أنس قال : « أتى النبي ﷺ سائل ، فأمر له بتمرة فم يأخذها ، وأتاه آخر فأمر به بتمرة فقال : سبحان الله ، تمرة من رسول الله ﷺ ، فقال لجارية : اذهبي إلى أم سمية فاعطيه الأربعين درهما التى عندها » .

ثم يبين الشيخ « عبد السلام » أن حب الله تعالى هو القصب ، الذى تدور عليه جميع الحيرات ، لأنه إذا كان حب الله ، أثر لإنسان الله على كل ما سواه ومن سواه .

وحب الله هو الأصل الجمع للأتوار والكرمات ، وهن يأتين أن تكون أنوار وكرامات دون مقدماتها الأصبية ، وهى حب الله ؟ .

وسنورد المحبة بفصل خاص - فيما بعد - إن شاء الله .

وكل ذلك به أسس يقوم عليها :

أولها : صدق الورع :

والورع . هو أن تدع كل ما يريبك ، إنه التحرج في المأكل ،  
والمشرب ، ولبس ، والقول ، والعمل ، ليكون كل ذلك حلالاً ،  
روى الترمذى بسند حسن صحيح عن ( حسن بن علي ) رضى  
الله عنه قال : حفظت من رسول الله ﷺ . « دعه ما يريبك إلى  
مألا يريبك » .

ويفسر الإمام النووي ذلك فيقول .

معناه : اترك ما تشك فيه ، وحد ما لا تشك فيه .

وما الورع في الحديث . فإنه لثورع عن اللغو بجميع صروبه ،  
إنه ترك كلمات الفضول ، وترك كل حديث ليس من شأنه إلا قطع  
الوقت ، دون فائدة أو ثمرة

والورع في الحديث يس سهلاً ، ويقول فيه الإمام ( القشيري ) .

« الورع في المنطق أشد منه في الذهب والفضة » .

ولا تدخل العيبة والتميمة فيما عر فيه ، وذلك أنا في مستوى  
لا ينزل إلى مستوى الآثام والذنوب .

والورع في القلب ، هو عدم انشغاله بالتوايه من المخاطر ،  
وينسأمي الورع في القلب حتى يصل إلى ما يقوله الإمام « الشل »  
وهو من كبار أئمة التصوف .

« الورع : أن تتورع عن كل ما سوى الله » .

أما الورع في الأفعال فإنه يقتصر التحرى فيما يتعلق بالمأكل والمشرب والمجلس ، حتى يكون كل ذلك من حلال طيب

ولقد كان أسلافنا - رضوان الله عليهم - يتحرون في ذلك ما استطاعوا ، وذلك أن النور في القلب ، والصفاء في العبادة ، والتيسير فيما يأتي الإنسان وفيما يدع ، كل ذلك له علاقة قوية بطيب المطعم والمشرب ، والمببس .

والحق الإسلامي كله يثبت على ذلك ، ومن الأحاديث النبوية لشريعة التي نجمع بين توحيه القرآن الكريم ، وتوحيه الرسول ﷺ متأسقاً مع القرآن الكريم ما يلي :

عن ( ابن عباس ) قال . ثبت هذه الآية عند النبي ﷺ :  
﴿ يا أيها الناس ، كلوا مما في الأرض حلالاً طيباً ﴾<sup>(١)</sup> فقام  
( سعد بن أبي وقاص ) فقال :

يا رسول الله ، ادع الله أن يحبسني مستجاب الدعوة  
فقال « يا سعد ، أطلب مطعمك ، تكن مستجاب الدعوة .  
واندى نفس محمد بيده إن الرحمن ليقذف اللقمة الحرام في حوفه .  
ما يتقل منه أربعين يوماً ، وأما عند بيت حمه من السحت ،  
والربا ، فالنار أولى به » .

وعن أبي هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله ﷺ

---

(١) البقرة ١٦٨ .

« أيها الناس ، إن الله طيب لا يقبل إلا طيباً ، وإن الله أمر المؤمنين بما أمر به المرسلين ، فقال :

﴿ يا أيها الرسل كلوا من الطيبات واعملوا صالحاً ، إني بما تعملون عليم ﴾<sup>(١)</sup> .

وقال : ﴿ يا أيها الذين آمنوا كلوا من طيبات ما رزقناكم ﴾<sup>(٢)</sup> .  
ثم ذكر الرجل يطيل السفر ، أشعث أغبر ، يمد يديه إلى السماء :  
يا رب يا رب ، ومطعمه حرام ، ومشربه حرام ، وملسده حرام ،  
وعدى بالحرام ، فأنى يستجاب لذلك ؟ » .

ومن كلام أئمتنا في الورع :

يقول « القشيري » : « أما الورع : فإنه ترك الشبهات » .  
ويقول إبراهيم بن أدهم : « الورع ترك كل شبهة ، وترك مالا  
يعنيك » .

وقال ( أبو سليمان الداراني ) : « الورع أول الزهد ، كما أن  
القناعة طرف من الرضا » .

ويستهي حديثنا عن الورع بهذه الكلمات العميقة ( لابن بشير )  
« وكل ورع لا يصحبه العلم والورع فلا تعد به أجراً » .  
وثاني الأئمة . حسن الباقية .

ورسول الله ﷺ يقول . « إنما الأعمال بالنيات ، وإنما لكل

---

(١) المؤمنون : ٥١

(٢) البقرة : ١٧٢

امري ما نوي ، فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله ، ومن كانت هجرته لدني يصيبها ، أو امرأة يكرهها ، فهجرته إلى ما هاجر إليه .

وثالث الأسس : إخلاص العمل :

ولقد سأل معاذ رضى الله عنه رسول الله ﷺ وذلك حين كان على أعباء السفر إلى اليمن - قائلاً :  
يا رسول الله ، أوصني .

فقال له ﷺ : أخلص دينك ، يكفك العمل القليل .

والله تعالى يقول : ﴿ أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْحَالِصُ ﴾<sup>(١)</sup>

والإخلاص أساس قبول الأعمال :

ومعنى ذلك وجوب الاتجاه بالأعمال إلى الله تعالى وحده ، لا شريك له . بقول تعالى : ﴿ فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ ، فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا ، وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا ﴾<sup>(٢)</sup>

ورابع الأسس : محبة العلم :

ومن من مظاهر الإسلام أن يكون العلم من أسس الخير ، ولقد كانت الآيات الأولى من الوحي حثاً على العلم ، دافعة له .  
وأشاد الإسلام بالعلم إشادة م يقاربها مذهب حديث ، أو قديم ، ولا نحلة حديثة ، أو قديمة .

(١) الرمر ٣ .

(٢) الكهف : ١١٠ .

﴿ إنما يحشى الله من عباده العلماء ﴾<sup>(١)</sup> .

﴿ هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون ﴾<sup>(٢)</sup>

﴿ يرفع الله الذين آمنوا منكم وادّين أوتوا العلم درجات ﴾<sup>(٣)</sup> .

﴿ شهد الله أنه لا إله إلا هو ، والملائكة ، وأولو العلم ﴾<sup>(٤)</sup>

ورسول الله ﷺ شعاره .

﴿ رب زدني علما ﴾<sup>(٥)</sup>

ويقول :

« من سلك طريقاً يلتمس فيه علماً ، سهل الله له طريقاً إلى الجنة ، وإن الملائكة لتضع أجنحتها لطالب العلم ، رصاً بما يصنع ، وإن العالم يستعمر له من مي السموات ومن فى الأرض ، حتى اختان فى الماء ، وفصل العالم على لعاب كفض القمر على سائر الكواكب ، وإن العلماء ورثة الأنبياء ، إن الأنبياء لم يورثوا ديناراً ، ولا درهماً ، إنما ورثوا العلم ، فمن أخذه أخذ بحظ وافر »

ومن المعروف فى الحق الإسلامى أن الله لا يعبد بالجهل

ومن شروط العبادة - إذن - العلم ، وهو - فى أدنى حدوده

تصحیح الدين ، حتى يعبد الله على بینه من الأمر .

---

(١) غافر : ٢٨

(٢) الزمر : ٩

(٣) أمجادله : ١٦

(٤) آل عمران : ١٨٠

(٥) طه : ١١٤

وتتمام هذه الأمور إنما يكون بصحبة شيخ ناصح ، أو أخ صالح .  
وهنا يمكن أن يقال :

إن الإمام ( ابن بشيش ) يقر الوضع العادى للطرق الصوفية ،  
ودنك أن الشيخ الناصح ليس إلا الشيخ لدى يرى المريدين .

وهل السير بهم هى طريق اقرب من لله لا بصيحة متوالية  
تنقشهم من مقام إلى مقام ، ومن درجة إلى درجة ، ومن حال إلى  
حال ، وماذا يكون شيخ الطريقة إلا هذا ؟ .

على أن ( عبد السلام ) رضى الله عنه م يصح ( الشاذلى )  
بالعد عن المشيخة ، وإن كان هو م يتحد مريدًا إلا شخصًا واحدًا ،  
هو ( الشاذلى ) الذى تخرج على يديه مالا يخصى من مريدين .  
ولقد استأذنه رحل فى المحاهدة لنفسه ، فلم يقل له تقدم لأعطيك  
العهد ، وإنما أجابه بقوله تعالى :

﴿ لا يستأدلك الدين يؤمنون بالله واليوم الآخر ، أن يحاهدوا  
بأموالهم وأنفسهم ﴾<sup>(١)</sup> .

## الزهد والتوكل

الزهد :

ونسير مع الطريق :

لقد سبق أن كتبنا عن الورع ، وفي ترتيب المقامات للصوفية يأتي الزهد بعد الورع ، ويأتي التوكل بعد الزهد

وقد تحدث ( ابن بشير ) أكثر من مرة ، عن الزهد ، والتوكل ، ومن ذلك قوله ناصحاً ( لأبي الحسن ) :

عليك بالزهد في الدنيا ، والتوكل على الله :

فإن الزهد في الدنيا أصل في الأعمال .

والتوكل على الله رأس في الأحوال .

ويتحدث ( ابن بشير ) عن أفضل الأعمال ، ويحصرها في

ثمانية ، وبعد منها :

الزهد في الدنيا .

والتوكل على الله

ومن طريف ما يروى فيما يتعلق بالزهد في الدنيا ، ما يرويه

( أبو الحسن ) ، قال : فتح الله في شيء من الدنيا على ، فهرعت

لأسعير وأعير بها ، فجعلت أحمد الله وأشكره ، فواظمت على ذلك

وقتاً من الليل ونمت ، فرأيت أستاذي يقول لي .

« استعد بالله من شر الدنيا إذا أقبلت ، ومن شرها إذا أدبرت ،  
ومن شرها إذا انقضت ، ومن شرها إذا أمسكت » فحلت أقول  
ذلك ، فوصل الشيخ كلامي فقال :

« من المصائب والرزايا ، والأمراض البدنية والقلبية ، جملة  
وتفصيلاً بالكلية ، وإن قدر شيء فاكسني حلل الرضا ، والمحبة ،  
والتسليم ، وأثواب المغفرة ، والتوبة ، والإقامة المرضية » .  
وقد يتساءل قوم :

ومادا عن العمل ، والصبر في الأرض ، واكتساب الرزق ؟  
وأول ما يلاحظه في ذلك بعض ألقاب الصوفية :  
انقصار ، الوراق ، الحرار ، الحواص ، البراز ، الحلج ،  
الرجاج ، الحصري ، الصيرفي ، المقرئ ، القراء ..  
وهذه ألقاب مأخوذة من مهن لهم .

ولقد كان الصوفية كغيرهم ، منهم الفقير ، ومنهم العني ، ومنهم  
العارف عن الثراء العريض ، ومنهم أصحاب الثروات الضخمة التي  
يؤدّون فيها حق الله ، ويعتقون بها في سبيله ، إنهم يؤثرون حق  
المال يوم حصاده :

﴿ وفي أموالهم حق معلوم ، للمسائل والمحروم ﴾<sup>(١)</sup>  
وهذا مثل « أبو الحسن الشاذلي » رضى الله عنه ، وهو من  
صفوة الصفوة الصوفية ، كانت له مرارع .

---

(١) الباعج ٢١٠ ، ٢٥

ونقول مراراً بالجمع ، لتتابع في هذا التعبير حديث المؤرخين  
عنه ، وكان له ثيران ، وحصاد ودرس ، وكان يقتنى الحبول ،  
ويركبها ، ولكن لم يستعده شيء من ذلك ، ومن دعائه فيما يتعلق  
بالدنيا .

« اللَّهُمَّ اجْعَلْهَا فِي أَيْدِيهَا ، وَلَا تَجْعَلْهَا فِي قُبُورِنَا » .

« اللَّهُمَّ وَسِّعْ عَنِّي رِزْقِي فِي دُنْيَايَ ، وَلَا تَحْبِسْنِي بِهَا عَن أُخْرَايَ »

( ابن عطاء الله السكندري ) يقص هذه القصة :

قال بعض المشايخ :

كان رجل بالمغرب من الراهدين في الدنيا ، ومن أهل الحد  
والاجتهاد ، وكان عيشه بما يصيده من البحر ، وكان الذي يصيده  
يتصدق بعصه ويتقوت ببعضه ، فأراد بعض أصحاب هذا الشيخ  
أن يسافر إلى بلد من بلاد المغرب ، فقال له هذا الشيخ .

إذا دحيت إلى بلد كذا ، فادهب إلى أحي فلان ، فأقرئه مني  
السلام ، وتطلب الدعاء منه لي . فإنه ولي من أولياء الله تعالى

قال : فسافرت ، حتى قدمت تلك البدة ، فسألت عن ذلك الرجل  
فدلت على در ، لا تصدح إلا بملوك ، فنعجت من ذلك وطبسه ،  
فقبل لي : هو عبد السلطان ، فازداد تعجبي ، وبعد ساعة ، وإذا هو آت  
في أفخر ملس ، ومركب ، وكأما هو مكث في موكنه .

قال : فازداد تعجبي أكثر من الأول

قال فهممت بالرحوع ، وعدم الاجتماع به ، ثم قلت

لا يمكنى مخالفة الشيخ ، فاستأذنت ، فأذن لى ، فلما دخلت رأيت  
ماهالى ، من العيد ، والمخدم ، والشارة الحسة ، فقلت له .

أحوك فلان يسم عليك .

قال : جئت من عده ؟

قلت : نعم .

قال : إذا رجعت إليه هل له :

إلى كم اشتعالك بالديا ؟ ، وإلى كم إقبالك عليها ؟ وإلى متى  
لا تنقطع رعبتك فيها ؟ .

فصت : هذا والله أعجب من الأول ، فلما رجعت إلى الشيخ  
قال : اجتمعت بأخى فلان ؟

قلت : نعم .

قال : فما لدى قال لك ؟

قلت : لا شيء .

قال : لا بد أن تقول لى .

فأعدت عليه ما قال ، فبكى طويلاً ، وقال :

صدق أخى فلان ، هو غسل الله نفسه من الدنيا ، وجعلها فى  
يده وعلى طهره . وأنا أخذها من يدى وعمدى إليها بقايا التطلع

وقد شرع الإسلام لسحارة والمعاملات المالية ،

وأحد أركان الإسلام الركاة ، فمن لم يكر عده مال يؤدى منه  
الركاة ، فقد ركننا من أركان الاسلام .

وما من شك فى أنه لا إثم عليه ، ولكن من الأفضل استكمال

الأركان ، ومن لم تكرر له مال لا يستطيع أداء الحج ، وما من شك في أن الحج لا يجب إلا بعد الاستطاعة ، ولكن من الأفضل استكمال ركن الحج ، أي من الأفضل أن يعمل إنسان ويكدر ليكون عبداً ، يستطيع أداء الحج ، ويخرج لركاة .

ونريد أن نقول - من وراء كل ذلك - : إن الإسلام لا يكره العبي .

والجور الإسلامي يحتاج إلى أغنياء يذبون من أموالهم في سبيل الله ، يزكون ، ويحجون ، ويننون المساجد ، ويمتحنون المدارس ، ويقومون المستشفيات ، وينصدقون ، ويشئون المشروعات التي تنمّر وتفيد ، ولكنه يحتاج إلى أغنياء أحرار ، لم تستعبدهم المادة ، وإنما تكون نخادمة لهم يستعملونها فيما يرضى الله ورسوله ، يقول رسول الله ﷺ :

« من كان في حاجة أخيه كان الله في حاجته ، ومن فرج عن مسلم كربة فرح الله عنه بها كربة من كرب يوم القيامة ، ومن ستر مسلماً ستره الله يوم القيامة » .

وقال رسول الله ﷺ : « من نفس عن مؤمن كربة من كرب الدنيا نفس الله عنه كربة من كرب يوم القيامة ، ومن يسر على معسر يسر الله عليه في الدنيا والآخرة ، ومن ستر مسلماً ستره الله في الدنيا والآخرة ، والله في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه » .

وقد تحدث القرآن الكريم عن فضل الإعطاء والإنفاق والبذل في آيات كثيرة ، يقول تعالى :

﴿ فَأَمَّا مَنْ أُعْطِيَ وَاتَّقَى ، وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَى ﴾ <sup>(١)</sup> .

ويقول : ﴿ لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ ، وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ ﴾ <sup>(٢)</sup> .

وعن ابن عمر رضى الله عنهما - فيما رواه الشيخان قال :  
رسول الله ﷺ :

« لَا حَسَدَ إِلَّا فِي اثْنَتَيْنِ : رَجُلٌ آتَاهُ اللَّهُ مَالاً ، فَسَلَطَهُ عَلَى هَيْئَتِهِ فِي الْحَقِّ ، وَرَجُلٌ آتَاهُ اللَّهُ حِكْمَةً ، فَهُوَ يَقْضِي بِهَا وَيَعْلَمُهَا »

وروى لشيخان عن أبي هريرة رضى الله عنه أن فقراء المهاجرين أتوا رسول الله ﷺ فقالوا :

« ذهب أهل الدثور ( الأموال ) بالدرجات العليا والنعيم المقيم ، فقال . وما ذاك ؟ فقالوا : يصلون كما نصلي ، ويصومون كما يصوم ، ويتصدقون ولا نتصدق ، ويعتقون ولا نعتق ، فقال رسول الله ﷺ :

أولا أعلمكم شيئاً تدركون به من سبقكم ، وتسبقون به من بعدهم ، ولا يكون أحد أفضل منكم ، إلا من صنع مثل ما صنعتم ؟ قالوا : بلى يا رسول الله .. قال : تسبحون ، وتكبرون ، وتحمدون ، دبر كل صلاة ، ثلاثاً وثلاثين مرة ، فرجع فقراء المهاجرين إلى رسول الله ﷺ ، فقالوا : سمع إخواننا أهل الأموال بما فعلنا ففعلوا مثله ، فقال رسول الله ﷺ : ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء .. » .

---

(١) الليل ٥٠ ، ٦ ، ٧

(٢) آل عمران : ٩٢

أما عن التوكل ، فإن الإمام ابن بشيش يقول .

أما التوكل فإنه رأس في الأحوال .

وأنواع أب التوكل هو القدم الأول في الصوف بالمعنى الدقيق  
كلمة « التصوف » ..

وإدراك الرهد آثار نقاشاً وحدلاً ، فإن التوكل كذلك آثار نقاشاً  
مستفيضاً ، و آثار جدلاً محتوماً .

وما كان ينبغي ذلك ، فإن القرآن الكريم ، وإن سيرة الرسول  
ﷺ ، ومنه الشريعة ، إن كل ذلك يبين بما لا شك فيه  
معنى التوكل ، ويقول أولاً إن التوكل واجب بصر القرآن الكريم .  
يقول تعالى ﴿ وعلى الله فتوكلوا إن كنتم مؤمنين ﴾ (١) .

ويقول . ﴿ فإدراك عرمت فتوكل على الله ﴾ (٢) .

ويقول . ﴿ وتوكل على الحي الذي لا يموت ﴾ (٣) .

ويقول ﷺ فيما رواه الترمذي وحسنه :

« لو أنكم تتوكلون على الله حق توكده ، لرزقكم كما يرزق الطير  
تغدو خماصاً ، وتروح بطناً » .

وروى لشيخان بسندهما عن أبي بكر الصديق رضي الله عنه  
قال « بطرت إلى أقدام المشركين ونحن في انعار ، وهم عن رعوسا ،

---

(١) مائدة ٢٣

(٢) آل عمران ١٥٩

(٣) الفرقان ٥٣

فقلت . يا رسول الله ، لو أن أحدهم سطر تحت قدميه لأبصرنا ،  
فقال : ما طئك يا أبا بكر باثنين الله ثالثهما » .

وروى البحارى عن ابن عباس قال :

﴿ حسبا الله رعم الوكيل ﴾ (١) قالها إبراهيم عليه السلام حين ألقى  
فى اسر ، وفاها محمد عليه السلام حين فلقوا . ﴿ إلى الدس قد جمعوا  
لكم وخشوهم ، فزادهم إيمانا ، وقانو حسبا الله ، رعم  
الوكيل ﴾ ..

ومحب بهذه المناسبة أن يبين وجهة النظر الإسلامية فى شىء  
من الاستفاضة ، فيما يتعلق بمعنى التوكل ، وفيما يتعلق بصلة التوكل  
بالحركة وبالعمل .

---

(١) آل عمران . ١٧٣

## التوكل

- ١ -

الإسلام : أن تسلم لله قلبك .

إنه : التوحيد .

إنه : إياك نعبد ، وإياك نستعين .

إنه : إسلام الوجه لله .

وذلك يقتضى التوكل على الله كجزء لا يتجزأ من الإسلام ، ويتلوه التوكل بحسب درجاته ، ويأخذ اسماً تبعاً لدرجته ، فيكون توكلاً ويكون : تسليماً .

ويكون : تفويضاً .

والتوكل : بداية هذا المقام الروحي .

والتسليم : واسطة .

والتفويض : نهاية . إن كان للثقة في الله بهاية .

ومع ذلك فإن كلمة « التوكل » تعلق على كل درجاته ، وتستعمل في كل أنواعه .

وعلى هذا الوضع يأمر سبحانه وتعالى به ، حاعلاً منه صفة لا تنفك عن الإيمان قائلاً : ﴿ وعى الله فتوكلوا إن كنتم مؤمنين ﴾<sup>١</sup>

---

(١) البقرة : ٢٣

ويأمر سبحانه به - أمراً مطلقاً كل مؤمن فيقول :  
﴿ وعى الله فليتوكل المؤمنون ﴾<sup>(١)</sup> .

وإذا توكل الإنسان على الله سبحانه فإن ثمرة ذلك أمران :

الأمر الأول هو حب الله له يقول سبحانه :  
﴿ إن الله يحب المتوكلين ﴾<sup>(٢)</sup>

والأمر الثانى : هو كفاية الله له ، يقول سبحانه :  
﴿ ومن يتوكل على الله فهو حسبه ﴾<sup>(٣)</sup> .

وهناك ثمار هى مصيب للذين الأمرين ، أو هى نتائج لهما نتحدث  
عنها إن شاء الله .

ومع أن أمر التوكل فى الحو القرآنى ، وفى جو السة واضح  
كل الرضوح ، فإن الناس جعلوا من التوكل مشكلة يتجادون فيها ،  
ويختلفون ، وتتجدد المشكلة كلما جاء ذكر للتوكل ، ومن أجل  
ذلك نحب بتوفيق الله - مع أن الأمر بى واضح - أن ننقى ببعض  
الأضواء فى هذا المجال .

لقد سئل ( يحيى بن معاذ ) وهو من أئمة الصوفية - متى  
يكون الرجل متوكلاً ؟

فقال : إذا رضى بالله تعالى وكيلاً .

---

(١) آل عمران : ١٢٢

(٢) آل عمران : ١٥٩

(٣) الطلاق ٣

وتحدث القرآن الكريم عن بعض الظروف التي ظهر فيها أن المؤمنين الصادقين هم الذين يتحدون الله وكيلاً ، يقول سبحانه وتعالى عن المؤمنين في عروة أحد : ﴿ الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ ﴾ (١) .

ماذا كانت الشيعة ؟ إنها ما عمر الله سبحانه عنها بقوله ﴿ فَانْقَلَبُوا سَعَمَةً مِنْ اللَّهِ وَفُضِّلَ ، مَ يَمْسَسُهُمْ سُوءٌ ، وَاتَّبَعُوا رِضْوَانُ اللَّهِ ، وَاللَّهُ دُونَ فَضْلِ عَظِيمٍ ﴾ (٢) .

من هؤلاء ؟ إنهم

﴿ الَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِلَّهِ وَالرَّسُولِ مِنْ بَعْدِ مَا أَصَابَهُمُ الْمَرْحُ ﴾ (٣) .  
ما هي قصتهم ؟

إن مشركي مكة ما أصابوا من الحسنيين ما أصابوا يوم أحد ، أُخْذُوا فِي الْعُودَةِ إِلَى مَكَّةَ ، فَمَا اسْتَمَرُّوا فِي سِيرِهِمْ يَدْمُوا . لَمْ يَلْمَ يَتَمَمُوا عَلَى أَهْلِ الْمَدِينَةِ ، وَيَجْعَلُوهَا الْبَصِلَةَ ؟ وَكَانَ مِنْ كَلَامِهِمْ : لَا مُحَمَّدًا قَتَلْتُمْ ، وَلَا الْكَوَاعِبَ رُدِفْتُمْ ، بِشِمَا صَعْتُمْ ، ارْجِعُوا ، وَأَرَادُوا الْعُودَةَ إِلَى الْمَدِينَةِ .

ونكر ( أبا سفيان ) م ينس يوم بدر ، ولم ينس أن الفئة القليلة

(١) آل عمران ١٧٣

(٢) آل عمران ١٧٤

(٣) آل عمران ١٧٢

يوم بدر عبت ثلاثة أمثاله ، مع وفرة العدة في الكثرة ، فأحب  
أولاً أن يعجم عود المسلمين

وكان من المصادفات أن مر به ركب من ( بني عبد القيس )  
فقال : أين تريدون ؟ قالوا يريد المدينة ، قال ولمه ؟

قالوا : يريد الميرة .

قال . فهل أنتم مسعون عني محمدًا رسالة ، أرسلكم بها إليه ؟  
وأحمل لكم إيلكم هذه عداً ربيياً بعكاظٍ إذ وافيتموها ؟  
قالوا : نعم .

قال فإدا وافيتموه فأحروه أنا قد أجمع السمر إليه وإلى أصحابه ،  
لستأصل بقيتهم ،

فمر الركب برسول الله ﷺ وهو بحمراء الأسد ، فأحبروه بالذي  
قال ( أبو سفيان ) فقال :

﴿ حسينا الله ، ونعم الوكيل ﴾

ويرى ( الإمام البحارى ) بسنده عن ( ابن عباس ) رضى  
الله عنه قال ،

﴿ حسينا الله ونعم الوكيل ﴾ قاضا إبراهيم عليه السلام حين  
أنقى في النار ، وقاضا محمد ﷺ حين قالوا .

﴿ إن الناس قد جمعوا لكم ، فأحشوهم فزادهم إيماناً ، وقالوا  
حسبنا الله ، ونعم الوكيل ﴾

قالوا ذلك واستعدوا مباشرة للقتال ، من جديد . من كان

مجروحًا ضمد جرحه ، ومن كان قد كل سيفه أحده ، ومن كان أمره متفرقًا في نفسه أو ماله أصبح أمره جميعًا ، واستعدوا لحوض المعركة بكل ما يملكون من وسائل ،

وكان ( أبو سفيان ) ينتظر نتيجة الرسالة وما تحدثه من صدى

ورجع واحد من وفد عبد القيس يقول لأبي سميان :

لقد رأيتهم كالأسد الموتورة ، عارمة على الأخد بالنار ، وفي هذه الأثناء مر ( معبد ) ( بأبي سفيان ) اتيًا من الطريق الذي يمر بجيش المسلمين ، فلما رآه ( أبو سفيان ) قال .

ما وراءك يا ( معبد ) ؟

قال : محمد قد خرج في أصحابه ، يطلبكم في جمع لم أر مثله قط يتحرقون عليكم تحرقًا ، قد اجتمع معه من كان تحلف عنه في يومكم . ودمو على ما صنعوا ، فيهم من الحق عليكم شيء لم أر مثله قط .

قال : ويلك ! ما تقول ؟

قال : والله ما أراك ترتحل حتى ترى نواصي الحيل .

قال فوالله لقد أجمعا الكرة عليهم ، لسأصل شأفتهم .

قال فإني أنهاك عن ذلك ، ووالله لقد حمى ما رأيت على أن قلت فيه أبياتًا من الشعر .

قال : وما قلت ؟ قال : قلت :

كادت تُهْدُ من الأصوات راحتي إذا سالت الأرض بالجرد الأبايل  
تردى بأسد كرام لا تابلـة عند اللقاء ، ولا ميل معاريل

فَقَلَّبْتُ عِدْوًا أَظَنُّ الْأَرْضَ مَائِدَةً      لَمَّا سَمِعُوا بِرَأْسِ غَيْرِ مُحَدِّثٍ  
فَقُلْتُ: وَيْلَ ابْنِ حَرْبٍ مِنْ لِقَائِكُمْ      إِذَا تَعَطَّمَتِ الْبِطْحَاءُ بِالْحَيْلِ (١)  
إِنِّي نَذِيرٌ لِأَهْلِ الْبَيْتِ (٢) ضَحِيَّةٌ      لِكُلِّ دِي إِرْبَةٍ مِنْهُمْ وَمَعْقُولٍ  
مِنْ جِشِّ أَحْمَدَ لَا وَحْشٍ (٣) قَدِيلُهُ      وَلَسَ يَوْصَفُ مَا انْذَرْتُ بِالْقِيلِ

ولما سمع ( أبو سميان ) ذلك أحد في العوده إلى مكة ، طلباً  
للسلامة ، والتوكل - إذن - والمتوكلون يتخذون الأسباب ،  
ويستعدون أتم ما يكون الاستعداد ، وأدق ما يكون الاستعداد .

وبعد : فإن الإمام لقشيري من أئمة الصوفية - يقول .

« واعلم أن التوكل محله القلب ، والحركة بالظاهر لا تنافي  
التوكل بالقلب ، بعد ما تحقق العبد أن التقدير من قبل الله تعالى ،  
فإن تعمس شيء فتقديره ، وإن اتفق فتيسيره .

التقدير من قبل الله تعالى : إذا آمن الإنسان بذلك - ولا بد أن  
يؤمن به - فهو متوكل .

والمتوكل يتخذ الأسباب اقتداء برسول الله ﷺ .

(١) تعطمت : اهترت ، الجيل : الصف من الناس

(٢) أهل البيت : قرين

(٣) الوحش : الردى ، والقديل جمع قبلة : الطائفة من الناس والحيل

## التوكل

- ٢ -

وصورة أخرى للتوكل ، إنها التوكل تحت عنوان « التسليم »  
وإنما إذا سربا مع السيرة السوية الشريفة بعد غزوة أحد ، لنصل  
إلى غزوة الأحزاب ، يرى الحق تبارك وتعالى يقول  
﴿ ولما رأى المؤمنون الأحزاب قالوا : هذا ما وعدنا الله ورسوله ،  
وصدق الله ورسوله ، وما زادهم إلا إيماناً وتسليماً ﴾<sup>(١)</sup> .  
ولهذه الآية قصة .

وقصتها أنه كان من حديث الحنفى : أن نفرًا من اليهود منهم  
( سلام بن أبي الحقيق البصرى ) ، ( حبي بن أحطط البصرى ) ،  
( كنانة بن الرسع بن أبي الحقيق ) ، ( هودة بن قيس الوائلى ) ،  
و ( أبو عمار الوائلى ) ، فى نفر من ( بنى المصير من بنى وائل ) ،  
وهم الذين حربوا الأحزاب على رسول الله ﷺ ، حرحروا حتى  
قدموا على قريش بمكة ، فدعواهم إلى حرب رسول الله ﷺ وقالوا  
إنا مسكون معكم عليه ، حتى نستأصله .

فقات لهم قريش يامعشر يهود إنكم أهل الكتب الأول والعلم  
بما أصبحنا نحلف فيه بحى ومحمد ، أفدين حير أم دينه ؟

---

(١) الأحزاب ٢٣ .

قالوا : بل ديكم خير من ديه ، وأنتم أولى باحق منه . فهم  
الذين أنزل الله فيهم :

﴿ ألم تر إلى الذين أوتوا نصيباً من الكتاب يؤمنون بأسحت  
واصاعوت ، ويقولون للذين كفروا هؤلاء أهدى من الذين آمنوا  
سبيلاً ، أولئك الذين لعنهم الله ، ومن يلعن الله فلا تجد له نصيراً ﴾  
الآيات من سورة النساء .

[ ٥١ ، ٥٢ ]

فلما قالوا ذلك فريش سرهم ، وشصوا لما دعوهم إليه من حرب  
رسول الله ﷺ ، فاجتمعوا لذلك واستعدوا له

ثم حرح أولئك النفر من يهود ، حتى جاءوا عطفان من قيس  
عيلان ، فدعواهم إلى حرب النبي ﷺ ، وأحروهم أنهم يكونون  
معهم عليه ، وأن قريشاً قد تبعوهم على ذلك ، واجتمعوا معهم  
فيه .

فخرجت قريش وقائدها ( أبو سفيان ) ، وخرجت ( عطفان )  
وقائدها ( عبيدة بن حصص بن حديفة بن بدر ) في سبي هزارة  
( الحارث بن عوف بن أبي حارثة المري ) في بني مرة ، ومسر بن  
رحيلة بن بؤيرة بن طريف بن سحمة بن عبد الله بن هلال بن  
حلاوة بن أشجع بن ريث ، بن عطفان فيمن تبعه من قومه من أشجع  
فما سمع بهم رسول الله ﷺ ، وما أجمعوا له من الأمر صرب  
الحديق على المدينة ، وكان رسول الله ﷺ يعمل في الحديق نفسه ،  
ويحمل التراب على كتفه الشريف ، وكذلك كان يفعل ( أبو بكر )  
( عمر ) وكبار الصحابة رضوان الله تعالى عليهم ، وما أن انتهى

حفر الحندق ، حتى جاءت جيوش لأعداء ، ورأى المسلمون هذه  
الجيوش الحرة ، التي أتت لتهدم المدينة ، وتقتل من فيها ،  
فما رادتهم هذه الرؤية إلا إيماناً ، وتسليماً ،

ومادا فعلوا ؟ لقد سهروا ليلاً ، وأقاموا نهاراً من وراء الحندق ،  
يرقبون حركات العدو ، ويستعدون لكل شأن من شئونه ؛ ليسوا  
دروعهم ، وتسلحوا بسيوفهم ، وأقواسهم ، وسهامهم ،

لقد أحكموا كل أمر من أمور الحرب بحسب طاقتهم ، ولكن  
الأمر فيما يسلمون به لله كله : إنه يرجع الأمر كله .

﴿ وما رادهم إلا إيماناً وتسليماً ﴾<sup>(١)</sup> إيماناً قلبياً ، وتسليماً قلوبياً .

وإن من الملاحظات التي لا تحفى على قارئ القرآن ، أن آية  
الأحزاب هذه سبقها - مباشرة - قوله تعالى :

﴿ لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة ، لمن كان يرجو  
الله ، واليوم الآخر ، وذكر الله كثيراً ﴾<sup>(٢)</sup>

ولقد تابع المؤمنون الرسول ﷺ في توكله ، واتبعوه مسلمين  
في استعدادهم وتأهبهم ؛ لقد اتحدوه أسوة .

ويقول الإمام سهل بن عبد الله - من أئمة التصوف - هذه  
الكلمات الجميلة حقاً ، الصادقة حقاً :

---

(١) الأحزاب : ٢٢ .

(٢) الأحزاب : ٢١ .

« التوكل حال النسي عليه السلام ، والكسب سنته ، فمن بقي على حاله ، فلا يترك سنته » ويقول :

« من طعن في الحركة فقد طعن في السنة ، ومن طعن في التوكل فقد طعن في الإيمان » أما كيف عرف سهل نفسه التوكل ؟ فإنه قال :

« التوكل : الاسترسال مع الله تعالى على ما يريد » .

وهي كلمة نفيسة ؛ الاسترسال مع الله على ما يريد هي كل ما أراد سبحانه

في الجهاد ، في الصرب في الأرض طلباً للرزق ، في التزود من العلم ، في حسن الخلق .

إنه الاسترسال مع الله على ما يريد ، وهذا يقتضي أن يسكن الإنسان إلى النتائج ، بعد أن يكون قد اتحد الأسباب بقدر طاقته ، ويقتضي أمراً آخر ، هو الابتعاد عن كل ما لا يريد سبحانه .

وبعد فإن هذا التعريف لسهل رضى الله عنه يتناسق مع تعريف الإمام ( حمدون القصار ) من كبار الصوفية - حيث سئل عن التوكل فقال :

إنه الاعتصام بالله تعالى في اتباع أوامره ، وهو الاعتصام بالله تعالى في اجتناب نواهيه ، وهو الاعتصام بالله تعالى في الحركة ، وهو الاعتصام بالله في النتائج ، أي السكون إليه في كل ذلك ، مع السكينة فيما يتعلق بالنتائج .

## التوكل

- ٣ -

وقصة ثالثة يقصها لقرن الكريم . قصة رجل مؤمن صادق  
إيمان ، وقف ناصحاً في وجه الصبيان والبحرود يدعو إلى الله ،  
ويبشر بالتعالم لصادقة ، وينذر ويهدد بعقاب الله في أسلوب قري ،  
لا يحشى فيه لومة لائم . تلك هي قصة مؤمن آل فرعون ، الذي  
بعد أن نصح ، وبشر وأذر قال .

﴿ فستذكرون ما أقول لكم ، وثقوص أمرى إلى الله ، إن الله  
بصير بالعباد ﴾ (١) .

وكانت النتيجة ما قصه الله تعالى بقوله :

﴿ فوقاه الله سيئات ما مكروا ، وحاق بآل فرعون سوء العذاب ﴾ (٢) .

ويحسن أن يذكر القصة تمامها ، من كتب الله سبحانه ، كما  
وردت في سورة غافر ، يقول الله تعالى :

﴿ وقار فرعون دروسى أقتل موسى ، وليدع ربه ، إني أخاف أن  
يبدل ديتكم ، أو أن يصهر فى الأرض الفساد .

وقار موسى إني عدت برى وربكم من كل متكر ، لا يؤمن  
يوم الحساب ؛

---

(١) غافر : ٤٤ .

(٢) غافر : ٤٥ .

وقال رجل مؤمن من آل فرعون يكتم إيمانه ، أتقتلون رجلاً  
أن يقول ربى الله ، وقد جاءكم بالآيات من ربكم ، وإن يك كاذباً  
فعليه كذبه وإن يك صادقاً بصكم الذى يعدكم ، إن الله لا  
يهدى من هو مسرف كذاب ،

يا قوم لكم انلك اليوم طاهرين فى الأرض ، فمن يبصرنا من  
بأس الله إن جاءنا ، قل فرعون ما أريكم إلا ما أرى ، وما أهديكم  
إلا سبيل الرشاد ،

وقال لى آمن يا قوم إنى أخاف عليكم مثل يوم الأحزاب  
مثل دأب قوم نوح وعاد وثمود والذين من بعدهم ، وما الله  
يريد ظلماً للعبد ،

ويا قوم إنى أخاف عليكم يوم التصاد يوم تولود مدين ، ما  
لكم من الله من عاصم ، ومن يصل الله فما له من هاد ،  
ولقد جاءكم يوسف من قبل بالآيات فما رآتم فى شك مما جاءكم  
به ، حتى إذا هلك قسم أن يعث الله من بعده رسولا كذلك يصل  
الله من هو مسرف مرتاب ،

الذين يجادلون فى آيات الله بغير سلطان أثامهم ، كبر مقتاً عند  
الله وعبد الذين آمنوا ، كذلك يطبع الله على كل قلب متكبر جبار ،  
وقال فرعون يا هامان ابن لى صرخاً عني أبع الأسباب أسباب  
السموات فأطلع إلى به موسى ، وهبى لأطعه كاذباً ، وكذلك رى  
لفرعون سوء عمله ، وصعد عن السبيل ، وما كيد فرعون إلا هى  
تباب .

وقال الذى آمن يا قوم اتبعون أهدكم سبيل الرشاد . يا قوم إنما هذه الحياة الدنيا متاع ، وإن الآخرة هي دار القرار ، من عمل سيئة فلا يجزى إلا مثلها ، ومن عمل صالحاً من ذكر أو أنثى وهو مؤمن ، فأولئك يدخلون الجنة ، يرفقون فيها بعير حساب .

ويا قوم مالى أدعوكم إلى النجاة وتدعونى إلى النار ؛ تدعونى لأكفر بالله وأشرك به ما ليس لى به عمن ، وأنا أدعوكم إلى العزيز الغفار ؛

لا جرم أنما تدعونى إليه ، ليس به دعوة فى الدنيا ، ولا فى الآخرة ، وأن مردنا إلى الله ، وأن المسرفين هم أصحاب النار . فسندكرون ما أقول لكم ، وأفوض أمري إلى الله ، إن الله بصير بالعباد ؛ فوقاه الله سيئات ما مكروا ، وحاق بآل فرعون سوء العذاب ﴿١﴾ .

ومن كل ما تقدم انتهى كما بدأنا ، بأن التوكل جزء لا يتجزأ من الإيمان ، والصورة المثلى له هي صورة رسول الله ﷺ الذى كان إمام المتوكلين ، وكان إمام المناصبين ، ومن بعده صورة ( أبى بكر ) رضى الله عنه ، والصحابة الأجلاء الذين كانوا متوكلين ، وكانوا مناصلين فى الحرب ، وفى التحاره ، وفى الرراعة . وبعد فيقول الله تعالى : ﴿ إن الله يحب المتوكلين ﴾ (٢) .

(١) غافر آية ٢٦ - ٤٥

(٢) آل عمران ١٥٩

الحمد لله

## الله (١)

أثبت المحجة أن يشتغل محب بغير محبوه  
يقول ( ابن بشيش ) رضى الله عنه :

(١) إن الحديث عن الله تعالى متعدد رواياه ، والحديث الصوفي عن الله تعالى يوجه على خصوصي إلى محبه سبحانه ، ولصوفي في ذلك نقائص لا تحصر ، وحديثهم يحنف عن حديث أصحاب علم الكلام ، وعن حديث الفلاسفه ، وهم في حبهم لله تعالى يأسون برسول الله صلى الله عليه وسلم الذي كانت العرب تقول عنه : إن محمداً قد عشت ربه ، وما يصدق على رسول الله صلى الله عليه وسلم من حب الله ، يصدق دون تشبيه ومع الفارق على السيد ( رابعة ) ، وعلى الإمام الشبلي ، وعلى الإمام ابن بشيش ، وعلى الأكثرية من الصوفيه ، حتى لقد قيل التصوف حب ، إنه حب الله ورسوله وطاعتهم

ومن الناس من يتحدث عن الله تعالى مبره على وجوده ، وصوفيه لا يتحدثون عن وجود الله ، مستدلين أو مبرهين ، وقد سبق أن كتب عن ذلك ما بين  
يقول ( ابن عطية الله السكندري ) معبرا عن رأي المدرسة الشاذلية  
وإن كان من الكتاب ما هو على بوضوحه عن إقامة دليل فليكون أولى بعاء عن الدين  
منه « ( لطائف المنن : ص ٢٧ الطبعه الفرنسيه . ) » اهـ  
وهذه الفكرة إنما هي عودة إلى الطريق الصواب فيما يتفق بهما سماه المتكلمون ، « اثبات وجود الله »

وهي فكره وجه إليها الشيخ أبو الحسن مريدية أكثر من مرة ، فهو يقول  
كيف يعرف بالعارف من به عرفت اعارف ، أم كيف يعرف بشيء من سبق وجوده  
وجود كل شيء « ( لطائف المنن : ص ٢٦ الطبعه الفرنسيه )  
ويقول أيضاً

« إني أنظر إلى الله سبحانه وإيماناً فأعتقد ذلك عن الدين والبرهان ، وبما لا يرى أحد  
من الحقائق ، هل في الوجود أحد سوى الملك الحق ؟  
وإن كان ولايته فكالماء في الهواء ، إن تشته لم تجده شئ » اهـ .

= ويتابع ( أبو الحسن ) الحديث يقول .

ومن أعجب العجب أن تكون الكائنات موصلة إليه فليت شعري هل هذا وجود معه حتى توصل إليه ، أو هل لها من الوضوح ما يسر به حتى يكون هي مظهره به ؟  
وهو وكيف تكون الكائنات مظهرة له . وهو الذي أظهرها ، أو معرفة له وهو الذي عرفها هذا الاتجاه الذي عنده ( أبو الحسن ) لتلازمه وبشره بينهم ، أخذ ابن عطاء الله السكندري في إداعته ، وكتابه على أنحاء شتى ، فمن ذلك قوله  
وأرهاب الدليل والبرهان عموم عند أهل الشهوة والعبادة لأن أهل الشهود والعيان قدسوا الحق في ظهوره أن يحتاج إلى دليل يدل عليه وكيف يحتاج إلى الدليل من نصب الدليل ؟ وكيف يكون معروفاً به وهو المرفوع له ؟ ! هـ .

إن ( أبو الحسن ) عاد يتابعه إلى النهج الإسلامي الصادق ، فيما يتبع بوجود الله إن وجوده سبحانه أوضح وأظهر من أن يحتاج إلى دليل ، وإن تقديس الله سبحانه يأتي بالؤمن عن أن يتحيل - مجرد محيل - أن يحتاج إلى إثبات وجوده ، وإن جلال الله - وهو جزء من عقيدة المؤمن - يسو بالمؤمن عن أن يربط إلى هذا المستوى من الاعتراف . والواقع أن كل محاور لإثبات وجود الله إنما هي انحراف عن النهج الإسلامي السليم . وإذا كان ( أبو الحسن ) قد وحى أتباعه إلى هذا النهج ، فإنما يتبع في ذلك منهج الفرق التي وذلك أن القرآن الكريم ، وجميع الرسل ، صلوات الله وسلامه عليهم ، قد برهوا الله عن أن يتحولوا الاستدلال على وجوده ، وقدسوه عن أن يكون وجوده في حاجة إلى حجة أو برهان .

وقد سار الإمام ( الشاذلي ) عن هذه السق مسبقاً ومعتدياً بيد أن فكره أصبحت الآن غامضة كل الغموض ذلك أن بدعة إثبات وجود الله بدعه شاذلة ، حتى في الأوساط المستغرقة في التدين ومن أجل ذلك يساءل الكثيرون .

كان ( أبو الحسن ) محققاً في رأيه هذا ؟ ومن أجل إيضاح فكرة ( أبي الحسن ) ، ولأن الموضوع في نفسه جدير إلى حد بعيد بالأهمية فإننا نستفيض هنا في شرح هذا الموضوع ، عسى أن يسود بوجهه ( أبي الحسن ) فيرجع الناس عن البدعة ، إلى التوجيه السليم على أن من حق ( أبي الحسن ) عيباً ونحن نكتب عنه - أن يستفيض في شرح فكره من أفكاره ، كان بعباده والإلف ، وكان للزمن والظروف دخل في أن أصبحت غير معهومة فهنا وأصحاء ، أو غير مقدرة تقديراً صحيحاً حين بدأ الرسول صلى الله عليه وسلم ، الجهر يدعوونه ، بعد نحو ثلاث سنوات من الإسراء بها فإنه ، =

= صموات الله وسلامه عليه لم يبدأ بإثبات وجود الله ، وإنما بدأ بالبرهنة على صدقه هو ، ومعدى العرب بصدقه ومن قبل ذلك حين فاجأه الملك في العذر ، ومرل الوحي ، لم يبدأ المثلث أو لم يبدأ الوحي . بإثبات وجود الله ، وإنما بدأ بالأمر بأن يقرأ لرسول ، صموات الله وسلامه عليه ، باسم ربه ﴿اقرأ باسم ربك الذي خلق﴾ «العلق ١» . ومضى القرن الأول كله ولم يحاول إنسان قط أن يتحدث حديثاً حادياً أو مستعصفاً عن إثبات وجود الله ، تعالى ، ومضى أكثر القرن الثاني والمسألة - فيما يتعلق بوجود الله - لا توضع موضع البحث .

ذلك أن وجود الله إنما هو أمر بدهي ، لا ينبغي أن يتحدث فيه المؤمنون نصياً أو إثباتاً ، ولا سلباً أويجاباً . إن وجود الله من القضايا المسلمة ، التي لا توضع - في لأوساط الديانة - موضع البحث ، لأنها فطرية .

وإن كل شخص يحاول وضعها موضع البحث ، إنما هو شخص في إيمانه دخل ، وفي ديه انحرف . فما خصي الله قط حتى يحتاج إلى أن يشبه البشر ، تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً . ومن المعروف أن الدين الإسلامي لم يحيئ لإثبات وجود الله ، وإنما جاء لتوحيد الله وإذا تصفحت القرآن ، أو التوراة حتى عى وضعها خالي - أو الإنجيل حتى في وضعه الرائع ، فإنك لا تجد مسألة وجود الله ، اتحدت في أى سفر منها مكانة تجعلها هدفاً من الأهداف الدينية ، أو احتب مكاناً يشعر بأنها من مقاصد الرسالة السماوية

القرآن الكريم يتحدث عن بدهة وجود الله حتى عد ذوى العقائد المنحرفة يقول سبحانه وتعالى ﴿ولكن سألتهم من خلق السموات والأرض يقولن الله﴾ «لقمان ٢٥» . إنهم يبنون إن الخالق هو الله ، مع أنهم مشركون ، أو محرفون بوجه من الوجوه ، في إيمانهم بالله تعالى ، وما مرل الأديان قط لإثبات وجود الله ، وإنما نرت لتصحیح الاعتقاد في الله ، أو لتصحیح طريق التوحيد .

أما الآيات الكثيرة التي يظن بعض الناس أنها مرلت لإثبات الوجود فلمست من ذلك في غير ولا في كثير ، إنها تبن عظمة الله ، وجلاله ، وكبرياءه ، وهيمته الكاملة عى العالم ، ما عظم من أمره ودق منه ، لا نفوت هيمته صغيره ، ولا يخرج عن سبطانه ما دق وما جل ، وقد أنت على هذا الوضع ، لتفرد الإنسان إلى سلام وجهه الله ، إسلاماً كليلاً بحيث لا يصدر ، ولا يرد إلا باسمه سبحانه ، ولا يأتي ما يأتي ، أو يدع . إلا عى مسيله ، تعالى .

- ومضى العرب الأول على ذلك . ومضى القرب النسي . أو أكثره على الفطرة . ثم .. ثم كانت الفلسفة اليونانية والعسفة اليونانية فلسفة وثنية لأنها تصدر عن العقل ، لا عن الوحي ، وكل فكرة تصدر عن العقل ، لا عن الوحي ، في عالم ما وراء الطبيعة ، أي في عالم العقيدة إنما هي فكرة وثنية ، أي أنها فكرة لا حيث في الوجود . لأن علم العقيدة إنما هو من اختصاص الله . يسه عن بيان رساله . وكل مدخل من الإنسان في هذا العالم إنما هو مدخل فيما ليس للإنسان المدخل فيه ، لأنه اقتحام مساحة محرمة مقدسة ، لا ينبغي أن يدخلها الإنسان إلا بحوزة الساحد الخاضع الحاصص . بسبب ما جاء به الوحي الإلهي . إن العسفة اليونانية في عالم العقيدة فلسفة وثنية ، إنها وثنية حتى حين تثب وجود الله . ولا يجرحها إثباتها وجود الله ، عن أن يكون وثنية ، إنها وثنية ببلبد الذي قامت عليه . وهو مبدأ بأنه العمل السري ، ويستوى بعد ذلك أن تكلم . قد أثبت وجود الله أو أنكره . وهي حينما تثبت وجود الله عملياً ليس في ذلك كبير فائدة ، ولا يبر ذلك وجودها ولا قمعها ما تثب . وإثباتها وانعدم سوء ذلك أن العقل الذي أثبت . هو العقل الذي يمكنه أن ينكر ، وهو العقل الذي ينكر بالفعل . ولا روم إبد سلطانته وتصميم ، الذي عني به كل عبقرية فكرية في الشرق ، أو العرب تحاول فكرتها ، أن تثب وجود الله

إنما لا نقيم عقيدتها على فكر بشر ، مهما كان هذا الفكر غيري ، ويجب على المؤمن ألا يسمي رباً أي رب لأى ناح فكرى في علم ما وراء الطبيعة ، سواء خالف معتقده . واقع ، إنه في معتقده يدين لله وحده ، وكفى بالله مصدراً ، وكفى بالله هادياً . وكفى بالله مرشداً . المؤمن يعتصم بالله فقد هدى رب صراط مستقيماً . و ال عمران : ١٠١ ، ومن يعتصم بالله فهو حسبه . إن كل ما عدا الهدى الإلهي في علم الدين ، إنما هو وثنية وصلان كانت الفلسفة اليونانية فلسفة وثنية بشرية ، وقد أراد أن يجد نجاحاً يعصمها من الخطأ فاخترعت أن وثني آخر ، هو ( من لمطوق ) . فما أحدى ولا أعنى ولا تقدم دنمكر الوثني في عالم الصواب شروط غير وثيق هذه فلسفة عبر القرون عني ما هي عليه . فيها كل سمات الوسة من ضلال وخرافات

ولقد كانت الأمة اليونانية معذرة بعض المدر ، مما كان في ربوعها حين منزل من السماء ، بلحاذا إليه مهبته مسترشدة . وما كان مشب في ذلك إلا كمثل العصر الحاهلي في الحرية الغربية فلحاح إلى العقل وألقه وأحدث تثب به وسكر ، =

= فصلت وأصلب وجاءت الديانة الصربية مصححة موضع ، فعزل فكرة الألوهية عن مذهب الوثنية وسميت بالله جل جلاله على أن يصح وجوده موضع البحث ، ثم نسبت إليها كمكروب حيث ونسب النبوة ، فجمع بين وجود الله - مجرد وجود الله - بأنها صحتها من أبواب البحث ، أو من أبواب « اللاهوت الكسبي » وبرزت بذلك المفكرة بدينه القديمة عن الله ، في مستوى نحو الوثنية البشرية ، وجاء الإسلام بظهوره كاملاً بعميقة ، ومرتبة دمه بإيمان ، وعن مجرد التسمية « الإسلام » الحروب على التدخل البشري ، في دين الله ورسالة الله الإسلام إلا الإسلام مضيق الله سبحانه وتعالى ، إنه الاسترسال مع الله على ما يرضيه ، وهل للإنسان غير هذا بالنسبة لله ؟ ، وهل للمؤمن أن يتصرف تصرفاً آخر ؟ وهل إذا تصرف تصرفاً آخر يسعى مؤمناً ؟

إن الاسترسال مع الله على ما يجب ، هو الإسلام ، وهو الدين ، لا دين غيره ، يقول الله تعالى : ﴿ إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ ﴾ « آل عمران : ١٩ » ويقول سبحانه ﴿ وَمَنْ يَسْعَ عِبْرَ الْإِسْلَامِ دِينَ فليس يفعل ما ﴾ « آل عمران : ٨٥ » وإن كان من لا يستسلم لله في وحيه استسلاماً مطلقاً فإنه يسعى في غير ما كثير حسب اعترافه - غير الإسلام دين

ونفذ كان الإسلام بوجيه ، وكان مبدئ ، ومن بوجه الإسلام أن وجود الله لا يسعى أن يوضع موضع البحث وكل من وضعه موضع البحث فإنه بذلك يعدل عن بوجه الله تعالى إلى بوجه بشري ، إنه يسعى غير الإسلام بوجهه ، « يسعى المسلمون الأول الإسلام بوجيهها ، كما نعوذ مبدئ ، وسار الأمر على ذلك إلى أن تسلب الفلسفة اليهودية كمكروب حيث في الحق الإسلامي مسلب في عهد ( الناموس ) ، وتورد كبر هذا النسل ( الناموس ) ، وشجعته على ذلك معتزلة عصره ، وفانق المؤمنون ذلك بكثرة من الناموس ، وحق ما ذلك ، ما كان معلق دين ولا مطلق انطرد سبيمة بتضي بأن يكون إله العصمة رتبة الدين لإلهي مربوعة برفرف على ربوع الأمة الإسلامية في شيط العقيدة ، فليس بهذه الرؤية ، قليلاً أو كثيراً ، لترجع بجوارها راية ( الوسط ) ، ورياء ( ينفور ) ورجع الناموس ، راية لأعراف والوثنية ، مجوار رية انداية المعصومة وعارض المؤمنين واحتجوا ، ويؤيد أن الوثنية ولو وافقت الدين ، فهي وثنية ولكن النهج الوثني أحد بقوى شت فشت ، ثم صلب التعرج بالإقامة والوسطى ومعاد الله أن يكون عقائد الإسلام الكبرى بإيمان بالله ورسالة وبالبحث قد تنوب

= بالوثنية ، كلا ، وإنما الذى تموت بالوثنية وإلى حد كبير إنما هو المذبح ، والسرعة ،  
والإحاطة فى البحث ، ومذبح البحث وليس ذلك بالامر الهين ، و الذى لا يؤمن به ،  
كلا ، فدللت على خطورة فى جانب قوة الإيمان وضعفه و الفرق بين أن أحاط قصبيا  
الوحي من حيث مستسلمه ، المستسلم معها على ما مر ، وأن أحاطها بحكمها فيها عقدت ،  
مؤولا لها ، أو عادلا بها إلى اتجاه خاص ، أو شارحا لها على غرة مصبة

وبتعبير آخر ، فرق بين أن تصدر عن الوحي متعمها له بمفلك ، وبين أن تصدر  
عن عقلا متعمها بلوحي ، وعلى بعض الناس لا يرى فرقاً فى التعبيرين ، ولكن الفرق  
كبير ، إذا نظرنا إلى الموضع الإنسانى فهو إما أن يطل على الوحي فائد العسل إلى  
المحصول ، وإما أن يطنق عن العسل محاولاً تذليل الوحي بما يوافق النتائج التى وصل  
إليها العقل والأور صريح مؤمنين مسلمين ، والثانى طريق الفلاسفة ، أو مذهب الوثنيين  
والمذبح الوثنى - مذهب إنسان وجود الله هو الذى أتاحت الانحراف الكامل ، أى إنكار  
وجود الله ، وهذا هو المذبح الوثنى فد اعصى حق الوجود فإن الوثنية كالمذبح الذى  
بالوثنية كالمذبح

إن صنع مناه وجود الله موضع البحث هو الذى هو بدوى الفطر مسخره أن  
يلحدوا فى دين الله ، وأن يكفروا به سبحانه وهذه نتيجة أولى  
أما النتيجة الثانية فإنها صعب الإيمان ، وقد كانت تصعب الوجود الإلهى مجرد  
الوجود موضع بحث بمعنى ذلك أنت وضعه موضع شك وريبة ، ولو لم يكن  
كذلك ، لما وضع موضع البحث .

ورد كالم الوجود الإلهى مجرد الوجود موضع شك وريبة ، فماده بنى من  
صور الدين لا يوضع موضع شك وريبة ؟ إن الإيمان فى هذه الأوصاف الوثنية لا يبنى  
به إلا أن يحترق شئاً فشيئاً ، حتى يصبح كلا إيمان وهذا هو ما حدث فى الأمة  
الإسلامية لقد وصل إيمانها إلى درجة تكاد معها أن يكون معدوماً ، وما حدث إلا لتغلغل  
المذبح الوثنى على حث قصبيا الذين ومباده لما أصبح قد با لذين كل قصبياه  
موضع بحث ، وهل يبنى أن سقى قصبه من قصبيا سدى من محال اليقين بعد أن  
وضع وجود الله محل وجوده سبحانه موضع البحث ؟

يستعمل الدين ، وتوابع إليث يعود فنقول إن الدين على نفسه محفوظ  
يحفظ الله لكتابه العزيز ﴿إِنَّ مَعَ رَبِّكَ الذِّكْرَ﴾ ، ولنا به حفاظون ﴿لِحَجَرٍ ۙ﴾  
وكى الذى شكوا منه إنما هو المذبح أو المذبح ، أو الرعة ، أو الاتجاه فى =

وحب الله قطب تدور عليه جميع الحيرات ، وأصل جامع للأشياء  
والكرامات ، وقد كان حب الله تعالى ، وحب رسوله ، هو مركز  
الدائرة في حياة ( ابن بشير ) .

ومن وصياه لشادلي :

لا تنقل قدميك . إلا حيث ترحو ثواب الله ، ولا تحس إلا  
حيث تأمس - عالياً - من معصية الله ، ولا تحالس إلا من تستعين  
به على صاعة الله . ولا تصطف لنفسك إلا من تراد منه يقبلاً بالله ،  
وقيل ما هم .

= البحث ، إن الذي يشكو منه إنما هو منهج البحث الوهمي وإذا شئت قلت

إنما هو منهج البحث ، الربوبي

سئل أحد العارفين عن الدليل على الله فقال : الله

فصل له فما العقل ؟ فقال : العقل عاجز ، لا يدل إلا على عاجز مثله

من الإمام الكبير العارف بالله ( بن عطاء الله السكندري ) الذي جمع بين رئاسة  
السريفة ، ورئاسة الحقيقة فإنه يقول : « هي ؟ كيف يستدل عليها هو في وجوده  
معتقدها ؟ يكون عبثاً من الظهور ما ليس لك ؟ حتى يكون هو مظهر لك ، متى  
عسى حتى يحتاج إلى دليل من عليك ؟ ومتى بعد حتى يكون الآثار هي التي توصل  
إليك ؟ » كيف يتصور أن يحججه شيء ، وهو الذي أظهر كل شيء . « كيف يتصور  
أن يحججه شيء ، وهو الذي ظهر بكل شيء . » كيف يتصور أن يحججه شيء ، وهو  
الذي ظهر في كل شيء . « كيف يتصور أن يحججه شيء ، وهو الظاهر من وجود  
كل شيء . » كيف يتصور أن يحججه شيء ، وهو أظهر من كل شيء . « كيف  
يتصور أن يحججه شيء ، وهو الواحد الذي ليس معه شيء . » كيف يتصور أن يحججه  
شيء ، وهو أقرب إليك من كل شيء . « كيف يتصور أن يحججه شيء ، « بولاه ،  
كان وجود شيء . » شأن بين من يستدل به ، أو يستدل عليه ، المستدل به عرف  
حق لأهله ، فأنبت الأمر من وجود أصله ، والاستدلال عليه من عدم الوصول إليه ،  
والاعتنى باب، حتى يستدل عليه ؟ ومتى بعد ، حتى يكون الآثار هي التي توصل إليه ؟  
رحم الله ( أبا محسن ) ، وجرأه الله ومدرسته حير الجراء ، على هذا التوجيه السليم

وهو في ذلك يتناسق مع القرآن الكريم ، ومع السنة النبوية الشريفة ، يقول الله تعالى .

﴿ قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَرْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا ، وَمَسَاكِينُ تَرْضَوْنَهَا ، أَحَبُّ إِلَيْكُمْ مِنْ اللَّهِ وَرَسُولِهِ ، وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ ، فَتَرْصُدُوا ، حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ ، وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْهَاسِقِينَ ﴾ (١) .

ويقول رسول الله ﷺ :

« لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ ، حَتَّى أَكُونَ أَحَبَّ إِلَيْهِ ، مِنْ مَالِهِ ، وَوَلَدِهِ ، وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ » .

ولا يجد المؤمن حلاوة الإيمان إلا بأن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما ، كما في الحديث الصحيح ..

وحب الله تعالى يتضمن حب رسوله ﷺ ، وحب الرسول ﷺ يتضمن حب الله تعالى ، فإذا أتى في أثر من الآثار حب الله ، فإنه يحمل على ذلك ، وإذا أتى في أثر آخر حب رسول الله ﷺ ، فإنه يحمل على ذلك أيضاً .

ويربط أسلافنا - رضوان الله عليهم - ربطاً محكمًا بين محبة الله تعالى ، واتباع رسول الله ﷺ ، متناسقين في ذلك مع توجيه الله سبحانه وتعالى

﴿ قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ ﴾ (٢) .

---

(١) النوبة ٢٤

(٢) آل عمران ٣١

وهذا الربط معناه الربط بين محبة الله تعالى والعمل ..

ومقدمات محبة الله تعالى هي العمل ، ونتيجة محبة الله تعالى هي العمل ، يقول الإمام ( أبو سعيد الخراز ) :

وبلغنا عن ( الحسن البصري ) رضى الله عنه أن ناساً قالوا على عهد رسول الله ﷺ :

يا رسول الله ، إنا نحب ربنا حباً شديداً .

فجعل الله تعالى لمحبة علماً ، وأمر عز وجل :

﴿ قل إن كنتم تحبون الله ، فاتبعوني يحببكم الله ﴾

فمن صدق المحبة اتباع الرسول ﷺ في هديه ، ورهده ، وأخلاقه ، والتأسي به في الأمور ، والإعراض عن الدنيا وزهرتها وبهبتها ، فإن الله عز وجل جعل محمداً ﷺ علماً ، ودليلاً ، وحجة على أمة .

ومن صدق المحبة لله تعالى يثار محبة الله عز وجل ، في جميع الأمور على نفسك ، وهواك . وأن تبدأ في الأمور كلها بأمره ، قبل أمر نفسك : ويقول :

« علامة المحبة الموافقة لمحبوب ، والتحرارى مع طرقاته في كل الأمور ، والتقرب إليه بكل حيلة ، والهرب من كل مالا يعيبه على مدهه »

أما عن صلة محبة بالإيمان ، فإن الإمام ( العزالى ) يقول :

وقد جعل رسول الله ﷺ الحب لله من شرط الإيمان . في أخبار كثيرة ، إذ قال ( أبو رزين العقيلي ) :

يا رسول الله ، ما الإيمان ؟

قال :

« أن يكون الله ورسوله أحب إليك مما سواهما »

وفي حديث آخر :

« لا يؤمن أحدكم حتى يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما »

وفي حديث آخر :

« لا يؤمن العبد ، حتى أكون أحب إليه من أهله ، وماله ، والناس أجمعين »

والقرآن الكريم هو دستور المحبين لله ، ومن ها كانت ثورة « ابن بشيش » على كل من يصرف عن القرآن إلى غيره ، ومن طريف ما يروى في ذلك ، ما يرويه ( أبو الحسن الشاذلي ) قال

رأيت أستاذي وفي يده اليمنى كتاب ، وفيه انقرآن ، وحديث رسول الله ﷺ ، وفي يده اليسرى أوراق ، فيها شعر موجر ، وهو يقول لي كالصاح لي :

أتعدلون عن العلوم الركبة ، في علوم ذرى الأحوال الردية ، فمن أكثر من هذا فهو عبد مرفوق هواه ، وأسير شهوته ومناه ، يستفرون بها قلوب أهل العصاة والسوان ، وأهل الصلالة والعميان ،

ولا إرادة لهم في عمل الحبر ، واكتساب العفران ، يتمايلون عليها  
 كتمايل الصبيان ، لئلا يمتد الظالم ليحسن الله به وبدوره الأرض  
 عليك بكتاب الله الهادي ، وبكلام رسوله الشافي ، فلي ترال  
 بحير ما آثرهما ، وقد أصاب الشر من عدل عهما ، وأهل الحق  
 إذا سمعوا النغو أعرضوا عنه ، وإذا سمعوا الحق أقبلوا عليه :  
 ﴿ ومن يقترب حسة ، نزد له فيها حساً ﴾<sup>(١)</sup>  
 ويعود فنقول :

إن حب الله تعالى ، وحب رسول الله ﷺ مركز الدائرة ، في  
 حياة ( ابن يشيش ) ، إنه يقول :  
 لا تنهم الله في شيء ، وعيك بحسن انظر به في كل شيء ،  
 لا تؤثر نفسك على الله في شيء  
 ويقول :

لزم باباً واحداً ، مفتح لك الأبواب ، واحصع لسيد واحد ،  
 تخضع لك الرقاب ، قال الله :  
 ﴿ وإن من شيء إلا عندنا خزائنه ﴾<sup>(٢)</sup> .  
 ﴿ فأين تذهبون ؟ ﴾<sup>(٣)</sup> .  
 ويقول :

(١) الشورى : ٢٣ .

(٢) الحجر : ٢١ .

(٣) التكوين : ٢٦ .

حرف من الله حرفاً تأمن به من كل شيء ، فلا معنى للحرف  
من شيء ، لأنه :

عند كل شيء .

ومع كل شيء .

وفوق كل شيء .

وتحت كل شيء .

وقريب من كل شيء .

ومحيط بكل شيء .

تعالى عن الحدوث ، عن الأماكر والجهات ، وعن الصحبة  
والقرب بالمسافة ، وعن الدور بالخلوقات .

واحق الكل بوصف الأول والآخر ، والظاهر والباطن ، وهو  
بكل شيء علیم .

كان الله ولا شيء معه ، وهو الآن على ما عليه كان .

ويقول ( أبو الحسن الشاذلي ) :

أوصاني أستاذي رحمه الله تعالى فقال :

حدد بصر الإيمان تجد الله :

في كل شيء .

وعند كل شيء .

ومع كل شيء .

وفوق كل شيء .

وقريباً من كل شيء .

ومحيطاً بكل شيء .

بقرب هو وصفه .

وبإحاطة هي نعمته .

وعد عن الطرفية والحدود .

وعن الأماكن والجهات .

وعن الصحة والقرب بالمسافات .

وعن الدور بالمحبوقات .

والمحق الكل بوصفه الأول ولآخر . والظاهر والباطن ، كان الله

ولا شيء معه .

أما صاحب لطائف المنن فإنه يروى عنه حديثاً جميلاً عن المحبة حديثاً يشعرك بأن المتحدث قد جال في ميدان المحبة ، حولة صادقة ، وسار في طرقاتها سيراً مرفقاً ، ورتج في رياضها ، وشرب من حياضها ، فأطال الشرب ، وقبل أن سفل كلام صاحب الانصاف يقول :

إذ حديث ( ابن بشيش ) عن المحبة ، فيه ذكر الشراب والشرب ، ونخب أن يركز القارئ انصافه في أن الشراب عند ( ابن بشيش ) هو التحلق بأحلاق الله ، أن يكون الإنسان ربانياً ، ومن هنا يقول عن الشراب إنه :

« مرح الأوصاف بالأوصاف ، والأحلاق بالأحلاق »

أي إنه تحلقوا بأحلاق الله : أحلاق الحماد . من كرم ، ورأفة ، وسلام ، وإيمان ، ومعبرة وعلم .

بل إن ( ابن بشيش ) يجعل ذلك من خصائص الإيمان ، إنه يقول عن الإيمان :

محو الصفات بالصفات ، والأسماء بالأسماء ، وتفريق الذات بالذات لتحقيق ما هو الأول والآخر ، والظاهر والباطن ، فأى شيء كان معه أولاً ، حتى يكون آخرًا ؟ .

وأى شيء كان معه ظاهرًا حتى يكون معه باطنًا ؟

فما يثبت من المخلوق هيئاته ، وما يمحي بمشيئته وإرادته .  
وخذ ذلك من قوله :

﴿ يسبحوا الله ما يشاء ويثبت ، وعنده أم الكتاب ﴾<sup>(١)</sup>

وهو الأول ، وصدر عنه كل علم وكتاب .

والكلام بعد ذلك يصبح مفهومًا ، يقول صاحب البطائف :

وقال الشيخ القطب ( عبد السلام بن مشيش ) شيخ الشيخ ( أبى الحسن ) رضى الله عنهما :

« ألزم الطهارة من الشرك ، كلما أحدثت بطهرت من دس حب الدنيا ، وكلما ملت إلى لشهوة ، أصدحت بالتوبة ما أفسدت بالهوى ، أو كدت . »

وعبيث بسحة الله ، على التوقير والراحة ، وأدم الشرب بكأسها مع السكر والصحو ، كلما أفتأ أو تيقظ شرب ، حتى يكون

---

(١) الرعد : ٢٩

سكرك وصحوك به ، وحتى تغيب بجماله عن المحبة ، وعن اشرب ،  
والكأس ، بما يبدو لك من نور جماله ، وقدس كمال جلاله .  
ولعل أحدث من لا يعرف المحبة ، ولا الشراب ، ولا الشرب .  
ولا الكأس ولا السكر ، ولا الصحو .

قل له القائل :

أجل ، ركم من عريق في شيء لا يعرف بعرقه ، فعرفني وبهني  
عما أجهل ، أو لما من به على ، وأنا عنه غافل .

قلت لك . نعم ، المحبة آحدة من الله تعالى قلب من أحب .  
بما يكشف له من نور جماله ، وقدس كمال حلاله

وشراب المحبة : مرج الأوصاف بالأوصاف ، والأخلاق بالأخلاق  
والأنوار بالأنوار ، والأسماء بالأسماء ، والسعوب بالنعوت ، والأفعال  
بالأفعال ، ويتسع فيه النظر لمن شاء الله عز وجل .

والشرب سقى القلوب ، والأوصال ، والعروق ، من هذا  
الشراب ، حتى يسكر ، ويكون الشرب بالتدريج ، بعد التدوين  
والتهذيب ، فيسقى كل عن قدره .

فمنهم من يسقى بغير واسطة ، والله سبحانه يتولى ذلك منه به .  
ومنهم من يسقى من جهة الوسائط ، كاللائكة ، والعلماء ،  
والأكابر من المقربين

فمنهم من يسكر بشهود الكأس ، ولم يدق بعد شيئاً ، فما طمك  
بعد بالدوق ، وبعد بالشراب ، وبعد بالرى ، وبعد بالسكر بامشروب ،  
ثم الصحو بعد ذلك على مقادير شتى ، كما أن السكر أيضاً كذلك

والكأس مغرفة الحق : يعرف بها من ذلك الشراب الطهور ،  
المحصن الصافي ، لمن شاء من عباده المخصوصين من حقه .

فتارة يشهد الشارب تلك الكأس صورة  
رتارة يشهدا معنوية .

وتارة يشهدا علمية .

فالصورة : حظ الأبدان والأعس .

والمعنوية : حظ القلوب والعقول .

والعلمية : حظ الأرواح والأسرار .

فياله من شراب ما أعذبه ! فصبو لي شرب منه ، وداوم عليه  
ولم يقطع عنه .

نسأل الله من فضله .

﴿ ذلك فصل الله، يؤتيه من يشاء ، والله ذو الفصل العظيم ﴾<sup>(١)</sup> .

وقد يجمع جماعة من المحبين ، فيسقون من كأس واحدة

وقد يسقون من كؤوس كثيرة .

وقد يسقي الواحد بكأس وكؤوس

وقد تختلف الأشرية بحسب عدد الكؤوس .

وقد يختلف الشرب من كأس واحدة ، وإن شرب منه النجم  
الغفير من الأحبة .

---

(١) الحديد : ٦١ .

# حكم ووصايا

## حكم ووصايا

« أجمل الصاعات أن يدخلك عبده ، ويرحى عليك الحجاب »  
وحكى عنه أيضاً أنه قال :

« أربع من كن فيه ، احتاج الحق إليه ، وهو عني عن كل شيء » .  
أحبة لله ، والعنى بالله ، والصدق ، واليقين .

الصدق هي الصمودية .

واليقين بأحكام الربوبية .

﴿ ومن أحسن من الله حكماً لقوم يوقنون ﴾ (١) ؟

وقال « أبو الحسن » :

سأله عن حديث : « يسروا ، ولا تعسروا ، ویشروا ،  
ولا تنفروا » فقال :

« دلوهم على الله ، ولا تدلوهم على غيره ، فإن من ذلك على  
الدنيا ، فقد غشك ، ومن ذلك على العمل ، فقد أتعك ، ومن  
ذلك على الله فقد نصحتك » .

ومن حكمه :

المرء إذا شرب الماء الساحق قال . الحمد لله بكرة ، وإذا

---

(١) المائدة ٥٠

شرب البارد وقال : الحمد لله ، استجاب كل عصفور منه بالحمد لله .

ومما أوصاه به :

ولا تصحب من يؤثر نفسه عليك فإنه لئيم ، ولا من تؤثر نفسك عليه فإنه قل ما يدوم ، راصحب من إذا ذكر ، ذكر الله ، والله يعي به إذا شهد ، ويوب عنه إذا فقد ، ذكره نور القلوب ، ومشاهدته مفاتيح العيوب .

وقال الشيخ ( أبو الحسن ) . إنه سمع ( ابن مشيش ) يقول لرجل استأذنه في المجاهدة بنفسه ، فأجبه بقوله تعالى :

﴿ لا يستأذنك الدين يؤمنون بالله واليوم الآخر ، أن يحاهدوا بأموالهم وأنفسهم والله عليم بالمتقين ، إنما يستأذنك الذين لا يؤمنون بالله واليوم الآخر رارتأت قلوبهم ، فهم في ريبهم يترددون ﴾<sup>(١)</sup>

وقال الشيخ ( أبو الحسن ) :

سألت أستاذي رحمه الله عن ورد المحققين فقال :

عليك بإسقاط الهوى ، وصحبة المولى ، وآية المحبة ألا يشتعل محب بغير محبوه .

وسأله عن قول السيّد عليه السلام :

( المؤمن لا يدل نفسه )

فقال لي : لهواه

---

(١) التوبة ٤٤ ، ٤٥

وعن ( أبى الحسن ) عن أستاذه قال :  
الأنفس ثلاثة :

- ١ - نفس لم يفع عيها البيع لحريتها ، يقول تعالى :  
﴿فَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ الْمُقْرَبِينَ ، مَرْحُومًا ، وَرِيحًا ، وَجَنَّةٍ نَعِيمٍ﴾<sup>(١)</sup>
  - ٢ - ونفس وقع عليها البيع لشرفها ، يقول تعالى :  
﴿إِنْ اللَّهُ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنْ لَهُمُ الْجَنَّةُ ،  
يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ، فَيُقَتَّلُونَ أَوْ يَغْلِبُونَ ، وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا ، فِي  
التَّوْرَةِ ، وَالْإِنْجِيلِ ، وَالْأَنْجِيلِ ، وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ ، فَاسْتَشِرُوا  
بِإِيعَافِكُمْ لَهُ ، وَذَلِكَ هُوَ الْقَوْلُ الْعَظِيمُ﴾<sup>(٢)</sup>
  - ٣ - ونفس لا يعأ بها ، يقول تعالى :  
﴿وَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ الْمَكِيدِينَ الصَّالِينَ ، فَنَزَلَ مِنْ جَنَّةٍ ، وَتَصْلِيَةٍ  
جَنَّةٍ﴾<sup>(٣)</sup> .
- وفى « لطائف المس » وغيره<sup>(٤)</sup> يدل قوله لا يعأ بها . لم  
يقع عليها البيع لحستها .
- وفى بعض المرويات ونفس مهمة لا حرية فيها ولا شرف  
ثم راد صاحب اللطائف على « درة الأسرار » ما نصه :

---

(١) الواقعة ٨٨ ، ٨٩

(٢) التوبة ١١١

(٣) الواقعة ٩٢ ، ٩٣ ، ٩٤

(٤) دعوة الأسرار

فالتى لم يقع عليها البيع لحريتها أنفس الأبياء  
 والتى وقع عليها البيع لشرفها أنفس المؤمنين .  
 والتى لم يقع عليها البيع لحستها أنفس الكفار  
 قال ( أبو الحسن ) رضى الله عنه :  
 فإن أبا بكر ، وعمر ، رضى الله عنهما تقدم منهما الشرك  
 قال . هما على الحرية وإنما هما كمن أسر ، وهو حر .  
 وقال ( ابن مشيش ) :  
 شيان قلما يتبع معهما كثرة الحسنة :  
 السخط لقضاء الله .  
 والظلم لعباد الله .  
 وحسنتان قلما يضر معهما كثرة السيئة :  
 الرضا بقضاء الله .  
 والصفح عن عباد الله .  
 وقال ( ابن مشيش ) .  
 أفضل الأعمال أربعة ، بعد أربعة :  
 المحبة لله  
 والرضا بقضاء الله  
 والزهد فى الدنيا .  
 والتوكل على الله .

هذه أربعة .

وأما الأربعة الأخرى :

فالتقويم بفرائض الله .

والاجتناب لمحارم الله .

والصبر على ما لا يعى .

والورع من كل شيء يلهى .

قال الشيخ ( أبو الحسن ) يحكى عن أستاذه رضى الله عنه

قال :

عبادة الصديقين عشرون :

كلوا .

واشربوا .

والبسوا .

وانكحوا .

واسكنوا .

وضعوا كل شيء حيث أمركم الله

ولا تسرفوا .

واعبدوا الله ، ولا تشركوا به شيئاً .

واشكروه .

وعبيكم بكل الآذى .

وبدل البدى .

فإنها نصف العقل .

والنصف الثاني :

أداء الفرائض .

واجتناب المحارم .

والرضا بالقضاء .

وإن عبادة الله ، التفكير في أمر الله .

والتفقه في دين الله .

وعين العادة ، الزهد في الدنيا .

ورأسها ، التوكل على الله

فهذه عادة الأصحاء المؤمنين .

وإن كنتم مرضى فاستشفوا ، واسترقوا بالعلماء ، واختاروا مهم  
الأتقياء الهداة ، المتركلين على الله .

يروى ( أبو الحسن ) عن أستاذه :

لا تختار من أمرك شيئاً ، واحتر أن لا تختار ، وفر عن ذلك  
المختار ، ومن فرارك ، ومن كل شيء ، إلى الله .  
﴿ وربك يخلق ما يشاء ويختار ﴾<sup>(١)</sup> .

وكل مختارات الشرع وترتيباته فهي مختار الله ، ليس لك منه

---

(١) القصص ٦٨٠

شيء ، ولا بد لك منه<sup>(١)</sup>، واسمع وأطع ، وهذا موضع المقرر الرئيسي وهو أرض على الحقيقة المأخوذ عن الله لم امتدى ، ففهم وأقر ،

---

(١) إن الصوريه جميعاً يدعون إلى إقامة شرع الله كما رسمه الله تعالى إن سحار الشريعة هي مختار الله ، وليس للمؤمن إلا تطبيقها دون زيادة أو نقص ، وقد سبق أن كتبت في هذا ، وحاصرت فيه في كل جمعياتنا المصرية ، وفي نادي القضاة ، وفي نادي محامي الحكومة ، وفي بعض عواصم المحافظات ، ونزلنا إحدى المحاضرات في ذلك وهي محاضرة أقيمت بنادي الحكومة يوم السبت الموافق ٢٣ نوفمبر سنة ١٩٧٤ « الاجتهاد والثبات في الشريعة الإسلامية »

بسم الله الرحمن الرحيم حمد الله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين ، سيما محمد ، وعلى آله وصحبه ، ومن اتبع هدبه إلى يوم الدين رب لا تؤاخذنا إن سبنا أو أخطأنا ، ربنا ولا تحمل علينا إصراً كما حملته على الذين من قبل ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به ، واعف عنا ، واعر ل ، وارحمنا أنت مولانا ، فانصرنا على القوم الكافرين

أيها الأخوة المؤمنون ، منذ زمن بعيد وثقنا أننا أنقى هذا الموضوع في أحد النوادي الخاصة بالقضاء ، ثم أتيت هذه الفرصة ، فكتبت سعيدياً بها ، وبكتبتى بعد أن ذكرت العيون ، أقول لكم بصرحة : ترددت كثيراً ، وخيل إلى أنها معامرة ولكن هذا التردد زال عندما فكرت في بعض الأمور .

فكرت أولاً في أنني مهما كتبت محاضرتي معامرة ، فما هي نتيجتها ؟ سأعرض أن الذي يوافقني على الرأي واحد ، أو اثنين ، يكفى هذا ، لست طموحاً إلى أكثر من ذلك ، يكفى أن أجلب من هذا المجتمع الكريم شخصاً ، أو شخصين إلى هذا الفكر

نما المنطلق الثاني الذي يعث في نفسي هدوء . هو أنني أرى نفسي مسلمة عند الجميع ، لا يشك فيها مؤمن ، ولا يرتاب في مسلم . القضية هي أن الدين برل هادياً للحل ، إننا جميعاً نؤمن بهذه القضية ، الدين برل هادياً للعقل لكن حينما نقول . الدين برل هادياً للعقل ، يتساءل كثير من الناس : في أي المجالات ؟ ونحن لا نريد أن نقول برل هادياً للعقل في مجال الماديات فالدين أظن للعقل الحريه الكاسه فيما يتعلق بالبحث والكشف في مجال الماديات ، في السماء وفي الأرض وفيما بين =

= السماء والأرض ، فقط هذه بأن يكون ذلك في خير الإنسانية ، إنه ما دام الأمر عما يتعمق بمجال الماديات ، والبحث فيها ، والكشف فيها في خير الإنسانية ، للعقل الحرية الكاملة في هذا ، بل إن أسلافنا رضوان الله عليهم كانوا يسمون هذه العلوم المادية الطبيعية ، والكيمياء ، والفلك ، والأحياء ، كانوا يسمونها علوم الكشف عن سر الله الكونية ، وما دامت كشفاً عن سر الله الكونية ، فهي كشف عن بعض صفات الله سبحانه وتعالى وما دام الأمر كذلك فهي عبادة ، إن هذا الجانب العلم بالماديات ، الكشف عن سر الله الكونية في الماديات ، ريادة إلهياف لصفات الله تعالى ، فهو عبادة ، لكن الأمر فيما يتعلق بـ « نزل الدين هادياً للعقل » إنما هو في أمور المجتمع ومجالاته ، العقيدة من الدين هادياً فيها ، الأخلاق من الدين هادياً فيها ، نظام المجتمع نزل الدين هادياً فيه ، التشريع أيضاً نزل الدين هادياً فيه .

هذه الهداية بما يتعلق بالتشريع أحياناً تكون مفصلة تفصيلاً دقيقاً ، كالسيرات مثلاً ، وكتابات الدين ، وأحياناً تكون كلياً ، تصمم فيها جزيئات كثيرة ، ولا ريب في أنه نزل الدين هادياً للعقل في جميع مبادئ التشريع ، لكن في وسائل التشريع أحياناً يكون الدين مفصلاً لها ، إن وسائل مبادئ ، أحياناً يكون الدين مفصلاً لها وأحياناً يتركها للعقل الإنساني بمصرف فيها بحسب الظروف ، مثلاً الشورى مبدأ من المبادئ التي أقرها الإسلام ، وسنة الشورى تركها الإسلام للعقل الإنساني ، يحددها بحسب ظروفه ، وبحسب أمكنته وأزمته ، أما المبدأ الشورى فهو مبدأ لا يتغير . وحسب نقول نزل الدين هادياً للعقل ، إنما معنى بذلك أن العقل لا يتحكم في الدين إنما يهتدى به ومعنى أيضاً من الدين هادياً للعقل ، أن العقل يفهمه ، ويضبطه ، ولا يتعارض الدين مع العقل ، ولا يتناقض مع العقل لأنه من الدين هادياً به . ولأنه نزل هادياً له ، ولأننا نؤمن بأن الدين من قبل الله سبحانه وتعالى ، وهناك القضية التي تعلق ذلك ، وهي أن هذه الهداية معصومة لأنها من قبل الله ، وما دامت معصومة لأنها من قبل الله ، فلا بد من اتباعها ، لا مناص من اتباعها .

من أجل ذلك كانت الآيات التي نزلت على وجوب اتباع ما في غاية الصرامة . أو في غاية القوة ﴿ ومن لم يحكم بما أمر الله فاولئك هم الظالمون ﴾ « التوبة ٤٥ » . ويقول سبحانه ﴿ ومن لم يحكم بما أمر الله ، فاولئك هم الفاسقون ﴾ « التوبة ٤٧ » ويقول أيضاً ﴿ ولا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ، ثم لا يجدوا »

« في أنفسهم حرجاً بما قصيت ، ويسموا تسليماً » النساء ٦٥ « هذه الصرامة لماذا ؟ ماذا هذا التحديد وهذه الدقة فيما يتعلق بوجوب اتباع هذه المبادئ التي نزلت من السماء ؟ أما عن ضرورة ذلك ، فإن كل من درس تاريخ الفكر البشري منذ أن كتب هذا الفكر في الأرملة القديمة إلى الآن ، كل من درسه تنبى له قصيدة في غاية السهولة ، هذه القصيدة التي في غاية السهولة ، هي أن هذا الفكر البشري على تنابع الأرملة ، على الرمس الواحد ، وفي العصر الواحد ، وفي القرن الواحد ، وفي الأمة الواحد ، هذا الفكر البشري متعارض ، متضارب ، متناقض ، مختلف .

أين هو الحق فيما يتعلق بهذا التضارب ، وهذا التعارض ، وهذا الاختلاف ؟ الاختلاف والتعارض والتضارب في جميع المجالات الفكرية البحتة ؟ نسا بصدد المجالات المادية ، لأن المجالات المادية تحكمها التجربة ، فالنجربة فيصل ، ولكننا بصدد المجالات النظرية التشريع ، الأخلاق ، العقيدة ، نظام المجتمع

أين هو الحق وأين هو الباطل في الآراء البشرية العاصرة بهذه الموضوعات ليس هناك مقياس للحق والباطل ، كل المقاييس التي حاولت الإنسانيه أن تخترعها منذ الأرملة القديمة ، كل هذه المقاييس أثبتت فشلها وبطلانها . من أوائل هذه المقاييس مثلاً ، الفصل بين الحق والباطل ، فبما يتعلق بالآراء النظرية ومنها التشريع بطبيعة الحال ، من أوائل هذه المقاييس مطلق ( أرسطو ) ، لقد تحقق إغماً كلاً في سبيل الحق عن الباطل ومنها مقياس ( ديكرت ) ، إنه أحقق إجمالاً كاملاً أيضاً ، فيما يتعلق بالتفسير بين الحق والباطل ، هذا من جانب ومن جانب آخر ، ما دام لا سبيل إلى القطع بأن هذا الرأي حق ، وهذا الرأي باطل ، كان هناك المجال المتسع الكبير لتزييف الآراء ، تزييف الآراء أو صاغة الآراء ، وفي علم الاجتماع وفي علم النفس كثير من الباحث ، التي تحدث عن صاغة الرأي العام ، الرأي العام يصنع عن طريق الصحف ، ويصنع عن طريق الإذاعة ، ويصنع عن طريق التكرار ، يصنع بوسائل مختلفة ، ويصنع تزييفاً ، أو إحقاقاً ، الرأي العام يصنع وما دام الرأي العام يصنع ، فهناك هذه الوسائل التي تصنع الرأي العام هذه الوسائل التي تصنع الرأي العام ، هناك كثير من الناس استعملوها ، ولكن الذين استعملوها في قوة ، هم « اليهود » استعملوها صاغة الرأي العام في قوة ، بالنسبة لأغراضهم ، وهم يقولون مثلاً في تكييفهم الرأي العام بالنسبة لشخصيات معينة « نحن الذين ربنا نجاح » كارل ماركس « يقولون هذا في كتبهم ، ويقولون هذا في كتاب (بروتوكولات) حكماء صهيون ، لقد رتبوا نجاحه ، ونجاح آخرين ؟ لماذا ربوا =

=سجاحهم ؟ لأنه عدم لكل الأفكار الروحية ، وهم يريدون ألا تسود لأفكار الروحية في الإنسانية ويعولون أيضاً في ( البروتوكولات ) :

عن الدين رتبنا سجاح ( درون ) صاحب نظرية التطور ، وعن الدين رتبنا سجاح ( بيتشه ) صاحب نظرية ألا أخلاق إنه يرى أن ليس هناك معيلة ، ولا شجاعة ، أو عفة ، أو كرم ، أو ما شاكل ذلك ، كل هذه الصفات اخترعتها الإنسانية ، من أجل حماية المصحاء فقط ، وليس الأمر أكثر من ذلك ، أو اختراعها المصحاء وتشبثوا بها ، من أجل حماية أنفسهم أراد اليهود أن تسود هذه الفكرة في العالم ، لتحل الأخلاق ، وليتجهوا من تحلل الأخلاق إلى السيادة في العالم

يعود فنقول : هناك صناعة الآراء ما هو القياس الذي يعص به بين الحق والباطل ؟ ليس هناك هذا القياس وبعد حاول - في موجهه الوحي الإلهي وفي مواجهه التشريع الإلهي حاول بعض الناس عمل نظم اجتماعية حاول مثلاً ( أفلاطون ) أن يكون جمهورية على ما ينبغي ، بأدق ما يمكن أن يكون من تفكير فلسفي ، وألف ( أفلاطون ) جمهوريته كتبها ، وسفها ، ودرسها ، وعقد فيها ندوات كثيرة ، ودعى ( أفلاطون ) لتحقيق جمهوريته ، في جمهورية صغيرة ، وذهب ( أفلاطون ) إلى هذه الجمهورية ، وقيل له : إنك معوص تفويضاً مطلقاً في تحقيق جمهوريتك وحاول ( أفلاطون ) أن يحقق جمهوريته ، فأحقق إحفاقاً كاملاً وبعد عشرين سنة ، بعد فترة من النصج ، دعى مرة أخرى ليحقق جمهوريته مرة ، أخرى ، بعد التجربة ، وبعد هذا الإحفاق الذي ناله : وبعد أن اكتسب معرفة وخبرة ، فأحقق إحفاقاً كاملاً مرة أخرى ، أما الإسلام فقد طبق في جمهورية ، أو في دولة ، أو في أمة ، إن هذه الألفاظ ، اللفظ المستعمل فيها - إسلامياً - هو كلمة أمة

﴿ وَإِنْ هَدَىٰ أُمَّةٌ وَاحِدَةً ﴾ مؤسسون ٥٢ • عبر الإسلام في أمة وأنهى هذه التطبيق بأن انتقل الإسلام من النظرية إلى الواقع لقد أصبح واقعاً ، وأصبح واقعاً في أمة تمتد من كندا إلى كندا لا تكاد تحرب عن الشمس ، طبق بالفعل ، وانتقل من النظرية إلى الواقع ، لكن كل الآراء التي عييت فيه يتعسف بالأظمة التي اخترعها ، أو ابتدعتها البشرية ، عرست واحققت وعيها النقد ، وتتعرض مع بعضها وتتوصح ذلك ظهور النظام الرأسمالي اختراع بشري في أمريكا يتعارض معارضة كاملاً مع النظام الشيوعي ، الذي هو حراع بشري فيما يعلن بروسيا ، ولكن أي هذين النظامين حق ؟ لا سبيل مطلقاً إلى أن يشت أن هذا أحق من هذا نظرياً بالدين والبرهان ، وكل ما يقدم =

من أدلة أو براهين في أمريكا ، تنقله روسيا ، وكل ما يقام من أدلة أو براهين في روسيا تنقله أمريكا

إذن من هذا كاتب الصرامة فيما يتعلق بالدعوة إلى محاد الإسلام أساساً ، ومن هنا كتبت هذه الآيات التي تحدثت عن لا يحكم بها أمر الله بالظلم مرة ، وبالفسق مرة ، وبالكفر مرة ثالثة . برز الدين كما لنا هداية لمنقل ، هذه الهداية لمنقل ليست ، قاصرة على رسم دون رسم ، ولا على مكان دون مكان . إنه في الوصف الدني الإلهي لكل المؤمنين تيلور هي قصة تحدثت عنها في كل وقت وفي كل أن ، هذه القصة هي أن الشريعة الإسلامية صالحة لكل زمان ومكان ، وهذا هو منطق الدين ، خصوصاً حينما يكون هذا الدين هو آخر الأديان ، بإعلانه سبحانه وتعالى هي ذلك

هي إبد صالحة لكل زمان ومكان هذه الكلمة أو هذه القصة « صالحة لكل زمان ومكان » إذا كانت في معناها السطحي ، أو الشكلي ، أو معناها العمق واصله ، فإن بعض الناس قد اتخذوا أساساً صير محرف كل الاخراف ، من هؤلاء مثلاً من قال إنها صالحة لكل زمان ومكان ، لأنها تتكيف بحسب الزمان والمكان ، ثم انتقل صفة أخرى فقال إنها صالحة لكل زمان ومكان ، لأنها تكيف بحسب الزمان والمكان كيف يكون التكيف ؟ قال بعضهم وعمل على ذلك جاحداً عن الآن في بعض الأقطار يعمل في بناء الدولة ، وبناء الدولة جهاد أكبر ، وإذا كان الجهاد الأصغر يبيح الإفطار في رمضان فالجهاد الأكبر وهو بناء الدولة من باب أولى ، يبيح الإفطار في رمضان وحاول أن يطبق الإفطار في رمضان على الدولة فافق وأحق ، لأن الناس كان شهرهم إيماناً ديناً ، هم يصنعوا ولكنه حاول ، وبدل ، وجد الشرطة ، وجد الجيش وجد كل شيء فيما يتعلق بتطبيق الإفطار في رمضان ، فكان يقدم مثلاً للمدارس الثانوية الداخلية ، وللمحافظات والجيش ، ومحوها ، التوجبات العادية ، في شهر رمضان ، بدلاً من الإفطار والسحور ، ولكنه في النهاية يرغب كل ما يذهب من جهاد أحقق

يعود فنقول ؛ تكيفها بحسب الزمان والمكان كيف ؟ سمع تعدد الزوجات ؟ سمع تعدد الزوجات حصلت حادثه أمام سمع وبصره ، هذه الحادثة أن شخصاً من الأشخاص مروح ، وعنده ولاد من زوجته ، ثم أصبح زوجته في وضع غير صا ح لا تستمر الزوجية ، من الدحية الحسية فكان هو بين أمرين إما أن يرمى ، وإما أن يتروح ، والتعدد ممنوع ، فماذا يصنع ؟ أمره الأولى لم يزل ليست مستوية عما حدث ه ، هذا قصه الله بالنسبة لها ، فما دينا لتظن ، وم يصفها ؟ إنها م سى إليه ، وم يطلق =

= وإنما ذهب وعهد عقدا شرعيا ، على امرأة ومزوجها بحسب الشرع ، وأنسكنها في مسكن  
وكان يذهب إليها ويبيت عندها ، ويبلغ عنه أنه تزوج امرأة أخرى ، والقانون في هذه  
النحية لا يتساهل ودعت الشرطة وحبطوه متسببا بالجريمة ؛ جريمة رواح بأمرأة أخرى  
وأنتي به للتحقيق وقالوا له هل تزوج امرأة أخرى ؟ فقال كلا فقيل له ولكك  
كنت عندها

قال نعم

- وتنق عليها

نعم ؟

- وقد استأجرت لها في المسكن

- نعم

وتبيت عندها

وأبيت عندها

- ماذا تكون إذن ؟ فيها عشيقة .

فقيل له تفصل اذهب لا ملام عليك ، لا لوم عليك حرموها روجة ! وأباحوها  
عشيقة بقانونهم حدث هذا بالفعل والتحقيق تحقيق البويس ، ويأتي أيضا فيما يتعلق  
بالتعدد أن « اثين ديبية » مستشرق فرسي ، كان قد ذهب إلى الجزائر في عهد الفرنسيين ،  
وهو فرسي ، وأقام في الجزائر ، في بلدة اسمها « بوسعادة » ، استراح إلى الجو ،  
واستراح إلى الناس ، واستراح إلى الحلق ، وكلها « عرته » الجو ، العبيعة ، الصحراء ،  
الناس ، كلها أغرته بأن يقيم في الجزائر ، فأقام أقام في عهدين عهد كان فيه التعدد  
مسموحا به ، وعهد حدث فيه عدم التعدد ، أو الدعوة إلى عدم التعدد ، أو لإقلاق  
من التعدد

وبعد ذلك لاحظ ثلاث ملاحظات ، كتبها باللغة الفرنسية في أحد الكتب ، كتب  
يقول حينما مع التعدد والطلاق وجدت طواهر لم تكن موجودة ، أيام كانت إباحة  
التعدد والطلاق .

ما هي هذه الطواهر ؟ هذه الطواهر التي وجدت عندما مع ذلك .

أولا كثرة العوانس ، هذا أمر الأمر الثاني كثرة النعطاء الأمر الثالث كثرة  
الأمراض السرية هذه المسائل الثلاثة حدثت بعد أن مع التعدد ، وبعد أن مع الطلاق ،  
وبس معنى إباحة التعدد أنه معروف ، وليس معنى ذلك أنه لا بد من التعدد كلا =

« وأنتم تعلمون أنه مع إتاحة التعدد الآن في القاهرة يمكن أن يكون نصف في الألف هم الذين يعددون الزوجات ، إذ ارتفعت عن أكثر من الألفين يسكن أربعة في الألف وهكذا الأمر ، يعني يكاد يكون التعدد مع إتاحتها معدوماً

ولكن من الوجهة النظرية ، لو فرضنا أن شخصاً من الأشخاص إما أن يتزوج وما أن يرمى ، مباح له أن يتزوج ، هذا رأى الكاتب الفرنسي الذي يقول ويشاهد بالتعداد وبالتجربة ماذا حدث ، وماذا كان ، لكنا نتساءل الآن ما هو إذن المسمى الصحيح للنصبة . « الشريعة صالحة لكل زمان ومكان » ؟ إن الشريعة أنزلت للإنسان من حيث هو إنسان ، إنسان ، لا للإنسان من حيث هو مصري ، أو من حيث هو فرنسي ، أو من حيث هو كذا أو كذا ، فيما يتعلق بالوطن إنها أنزلت للإنسان من حيث هو إنسان ، وما دامت قد أنزلت للإنسان من حيث هو إنسان فإنها صالحة لكل زمان ومكان ، لا تتغير ، لأن الإنسان هو هو ، أينما كان ، الإنسان هو الإنسان في عواطفه ، وفي انفعالاته ، وفي سلوكه ، وفي تصرفه ، في عمله ، في ذكائه ، في إحساسه وأنزلت الشريعة إذن للإنسان من حيث هو إنسان فهي إذن صالحة لكل زمان ومكان صالحة في مبادئها وصالحة في وسائلها ، إذا حددت وكل خروج عليها إنما يكون مجزأً لكن ماذا حدث عندما نحن في مصر ؟ الذي حدث عندما نحن في مصر ، أننا كنا نطبق نظام الشريعة الإسلامية ، ثم جاء الاستعمار وسف الشريعة الإسلامية من القطر المصري ، وأحل محلها القانون الوضعي ، واستقدموا قصاة ومستشارين من الأقطار الغربية ، ثم كان أن نجد أن هذا النظام لا يتأني أن يستمر كثيراً ، فأنشأ مدرسة الحقوق ، وكانت تسمى مدرسة ، قبل أن تكون كلية ، فأنشأ مدرسة الحقوق ، لتخريج قصاة أو محامين أو مستشارين ، إلى آخره ، ليحكموا بالقانون الوضعي ، وكان لابد أن يكون المنهج والبرامج هو القانون الوضعي ..

وراء الاستعمار ، وحاول أن نتخلص من كل آثار الاستعمار ولكننا ألقينا كليات الحقوق ، وألقينا مدرسة الحقوق ، فحيل إليها أن الأمر عادي ولكن الأمر في حقيقته ليس بعادي ، إنه في غاية العربة أن مقيم نحن ، في بلنسا ، في قطر ، كليات بلعرو الفكرى ، تتابع آثار الاستعمار ، وتعمل على استمرار آثار الاستعمار ، تنفق عليها ، ويربى فيها أبناءنا ، وضع أساءنا في جو يعرهم هذا الجو فكرياً ، وليكبروا أوربيين ، أكثر منهم مسلمين ، أو أكثر سهم وطنيين ، لأن الوطنية تقتضى أيضاً أن نتخلص من العرو المعكرو : ومن آثار الاستعمار ، لكننا ألقنا الأمر ، ودعيت إلى كليه حقوقه

=عين شمس لإلقاء محاضرة ، وسألت : كم عدد المحاضرات في الكلية في الأسبوع ؟  
فجبل اثنتان وعشرون محاضرة .

كم منها للشريعة الإسلامية ؟ درسا في الأسبوع . وعشرون درسا للقوانين  
الوصعية لو كانت هذه الكلية في فرنسا ما كانت تريد على ذلك ، أو لو كانت في  
انجلترا ما كتلت تزيد على ذلك وأحد أقول إنه لو كانت في إسرائيل أيضا ما  
كانت تزيد عن ذلك محاضرات للشريعة الإسلامية في بند إسلامي ، في وطن إسلامي ،  
محاضرات فقط في مقابل عشرين محاضرة ، لاستمرار الاستعمار ، أو لاستمرار آثار الاستعمار ،  
أو للغزو العكري فيما يتعلق بالاستعمار .

هذا لا يتأتى أن يستمر طويلا ، ولكن لأن ألقا ، ولأن لم يفكر في الوضع ،  
ولأننا ألقا كما ألق الناس التعارض والتناقض العكري ، وبكثهم ألقوا ، واستمروا عليه ،  
ولم يفكر فيه أحد من أجل ذلك كتبت الأمانة الآن موضوعة هي أنناقكم أنتم في  
تحدثت عنها ، ولكن الحديث عنها كان في محالات ربما لا تصل كثيرا بمجالات القانون ،  
ولكن محالات القانون حينا نفكر في الأمر وحتما يتغير في هذا الموضوع فإنه  
تصبح مسؤوليتنا كبيرة ، خصوصا حينا نقرأ ، ونحن من المؤمنين ، ومن غير ما شك  
هنا مجموعة كبيرة ، إن لم يكن الكل ، من الصالحين المؤمنين كيف يتأتى أن يسكب  
الصالحون المؤمنون وهم يسمعون

﴿ ومن لم يحكم بما أمر الله ، فأولئك هم الكافرون ﴾

﴿ ومن لم يحكم بما أمر الله ، فأولئك هم الظالمون ﴾

﴿ ومن لم يحكم بما أمر الله ، فأولئك هم الفاسقون ﴾

﴿ ولا وربك لا يؤمنون حتى - يحكموك ﴾ يحكموك في حياتك ، ويحكموك بعد

ماتت بسنتك - حتى يحكموك فيما شجر بينهم ، ثم لا يجدوا في أنفسهم ، في صدورهم ،  
في قلوبهم ، حرجا مما قضيت ، ويسلموا تسليما يسلموا تسليما بحكم الله ، بشرح  
الله تقول أن القانون الذي تحكم به ؟ وهذا سؤال من أسحب الأمثلة ، كيف  
ولنت مسلم وتحدث اللغة العربية تقول أن القانون ؟ القانون أمك في الكتب موجود ،  
في كتب الفقه وفي كتب التشريع الإسلامي ، هل يتأتى أن يكون شخص تخصص في  
التشريع ، ثم لا يفهم كتابا في التشريع باللغة العربية ، ليس بلغة لائيه ولا أعجمية ،  
أو شيء من هذا القبيل ، إنما هو باللغة العربية ، ليس في ذلك حجة ، ليس في ذلك  
مطلقا أي مستند للتفاسس عن تطبيق التشريع الإسلامي .

= ومع ذلك ، هناك هذه المقومات الكثيرة التي كتبت فيما يتعلق بالموضوع ، والتي تيسر كثيراً فيما يتعلق بالموضوع وأحب أن أقول إن مجمع البحوث الإسلامية قرأ القانون الذي كتبه على مذاهب مختلفة ، وفيه وكان في لجانه المختلفة مستشارون من القانونيين ، وفيه علماء ، وفقهاء ، في كل مذهب من المذاهب ، وهو الآن يصدر من القانون الجنائي ، لكن ذلك أنا أعتقد أنه عمل ما كان ينبغي أن يكون ؛ مع أنني أنا شخصياً الذي بدأت به ، والذي شرعت فيه ، لكن الآن ما كان ينبغي أن يكون ، لأنه ما دامت كتب التشريع باللغة العربية ، وما دامت هي في التشريع ، وما دامت فيها المفردات والأبواب والفقرات ، فمعنى التشريع ، المشرعون ، المستشارون ، الفصاة ، من السهل عليهم جداً أن يستخرجوها من هذه الكتب التي باللغة العربية .

نعود فنقول - إن الذي نرى هداية للعقل نعود فنقول إن الآيات فيما يتعلق بهذا الموضوع صارمة قد يتساءل إنسان ما هو موقع الاجتهاد فيما يتعلق بهذا الموضوع ؟ أليس الاجتهاد فتحاً باب التصرف عفوياً فيما يتعلق بالتشريع ؟ وعن هذه النقطة أعتقد الآن أولاً فيما يتعلق بالاجتهاد هناك فكرة في الواقع خاطئة عند الكثيرين ، حتى عند كبار المتفهمين ، إن الاجتهاد إما أن يكون في أمر سبق في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم ، وإما أن يكون في أمر استحدث من بعده ، حدث في العصر الحاضر ومعنى الاجتهاد أن الأمور التي كانت في عصر الرسول عليه الصلاة والسلام ينبغي أن يدل الإنسان جهده وطاقته في البحث ليصل من طريق التراجع ، الكتب ، السير ، الأحاديث النبوية وتفسير القرآن ، إلى ما كان عليه الرسول عليه الصلاة والسلام ليس في ذلك ابتداع ، ولا اختراع ، ولا تصرف عقل ، ولا شيء من هذا القبيل وإنما هو يبحث ليصل إلى الحقيقة

ومعنى الحقيقة عنه ، فما نَحْنُ ، أن يصل إلى ما كان عليه الرسول صلى الله عليه وسلم فإذا ما وصل إلى ما كان عليه الرسول صلى الله عليه وسلم فقد انتهى البحث . ومعنى الأمر أن الاجتهاد فيما يتعلق بالمسائل التي ما كانت في عهد الرسول وإنما حدثت في العصر الحاضر ، فليس معناه مطلقاً ابتداع أو اختراع أيضاً ، وإنما معناه يدل الجهد لوضع هذا السند الحديث ، أو المشكلة الحديثة ، أو المسألة الحديثة ، وضعها تحت قاعدة كلية من القواعد القرآنية أو النبوية تحريماً أو تحليلاً

يعنى مثلاً مسألة ( الخشيش ) ، ما يمكن موجوداً بحكم فيه ، وللمجتهد فيما يتعلق بأمر الخشيش يدل جهده بوضع الخشيش تحت قاعدة كلية ، من قواعد الدين ، إما تحريماً وإما تحليلاً ، لأنه في المبدأ لا يدري إن كان هذا الأمر محرماً ، أو حلالاً فيدل جهده =

= ليصبح هذا الأمر تحت قاعدة كلية ( البيرة ) مثلاً لم تكن موجودة وكل هذه الأنواع من الخمور ، ( ويسكي ) وغيره لم يكن موجوداً ، ما هو موقف المجتهد فيما يتعلق بالحكم في هذه المسألة أو تلك ؟ موقفه هو أن يدل جهده ، مع التقوى ، مع الإخلاص ، مع التواضع ، يدل جهده مع عدم التحيز ، يدل جهده ليضع هذه المسألة أو تلك تحت القاعدة الكلية ، أهمة أو أخففة ، فإذا أدى به اجتهاده إلى أنها توضع في قاعدة كلية تحرم ، يصبح الحكم حراماً وإذا أدى به اجتهاده ، مع الإخلاص ، مع التقوى ، مع النزاهة ، إلى أن هذه المسألة تدخل في نصيبه محلة ، تدخل تحت التحليل أو اسفل ، هذا هو الاجتهاد

ولكن هذا الاجتهاد أيضاً له مقدمات وله وسائل ، هذه المقدمات بديهية ، ليس فيها شيء من التعقيد : معرفة اللغة العربية إن من أوائل الشروط فيما يتعلق بالمجتهد معرفة اللغة العربية ، معرفة تمكنه أو تصل به إلى مستوى فهم القرآن ، فهم القرآن العربي ليس معرفة الأحاديث النبوية ولا بد معرفة الأحاديث ، من الإلمام بالأحاديث إلماماً يجعله على معرفة فيما يتعلق بجو الأحاديث النبوية ، لأنه يجوز أن يعنى ويكون هناك حديث من الأحاديث معارض أو مخالف لفتواه . معرفة السيرة النبوية لمعرفة الواقع الذي كان عليه الرسول صلى الله عليه وسلم ، وما دام الذي قد طلق حياً ، طلق في فترة طويلة من الزمن حقيقة الرسول صلى الله عليه وسلم وطبقه الصحابة رضوان الله عليهم ، في عهد الخلفاء الراشدين ، وتحدث عنه الصحابة ، وتحدث عنه الرسول ما دام قد طلق ، فإنه إذا اختلفنا في أمر من الأمور ، لا ندعاً إلا إلى التطبيق

ما هو الواقع الذي كان في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم ؟ ما كان ؟ النتيجة التي أريد أن أنتهي إليها وبها تكون الخاتمة : ما هو الموقف ؟

الموقف لحصة أحد الصحابة في كلمة ، تشبه أن تكون إعجازاً ، يقول « اتبعوا ولا تتدعوا ، فقد كفيتكم » ، فقد كفيتكم ، هذه برهان كامل على التبعوا ، وهي أيضاً برهان كامل على ولا تتدعوا ، اتبعوا فقد كفيتكم ، ولا تتدعوا فقد كفيتكم لأن من يتدع إنما هو الشخص الذي لا يكون عنده الكفاية ، ونحن علمنا الكفاية مد ﴿ اليوم أكملت لكم دينكم وأنممت عبيكم بمعنى ورصيت لكم الإسلام ديناً ﴾ المائدة ٣ ، عسا الكفاية ، إذا الخاتمة أو النتيجة التي يجب أن تنتهي إليها هي « اتبعوا ولا تتدعوا فقد كفيتكم »

=

إذا اتبعنا ولم يتدع ما هي النتيجة ؟

= النتيجة هي ما تحدث الله سبحانه وتعالى عنه ، وضمنه لمن اتبع شريعته : ضمن له السعادة في الدنيا وفي الآخرة ، وضمن له المور ، وضمن له النصر ، وضمن له سعة الرزق ، وضمن له كماله وعديته سبحانه ورعايته ، ضمن له كل هذه النواحي ووعد الله سبحانه وتعالى لا يتخلف .

ولقد أن أنتم بواقعة حدثت في هذه الأيام الأخيرة حدث في هذه الأيام الأخيرة أن وفدًا من أوروبا ، من كبار علماء أوروبا من فرنسا ، وبنه واحد من إيطاليا ، وواحد من إنجلترا ، وفدًا على مستوى رفيع جدًا ذهب إلى السعودية ، ذهب بالفعل ، وقبل أن يذهب تكتب وتراسل مع وزير العدل السعودي وزير العدل السعودي رجل نابه ، منظور متمتع الألق : تراسلوا معه ، واتفقوا على أن هذا الوفد الأوروبي يذهب إلى السعودية ، ليتحدث مع علماء السعودية فيما يتعلق بحقوق الإنسان في الإسلام ، وذهب الوفد والتقى بالوفد العربي ، كان وزير العدل ، وكان مستشار الملك « معروف الدواليبي » ، وكان ( محمد بن مبارك ) من سوريا ، وكان بعض علماء السعودية ، واتخذوا يتحدثون فيما يتعلق بحقوق الإنسان في الإسلام ، انبهر الوفد الأوروبي ، وما كان متصورًا مطلقًا أن هذا الذي يقال هو حقوق الإنسان في الإسلام ، وصل الإسلام بحقوق الإنسان إلى ما لم تصل إليه أوروبا ، في نهاية الجلسة ، الجلسة التي تعددت طبعًا عدة مرات

وفي نهاية الأبحاث سأل الوفد الأوروبي ونكر ماذا عن قطع يد السارق ؟ وأجاب « معروف الدواليبي » الذي كان رئيس الوزراء سابقًا في سوريا ، وهو الآن مستشار جلالة الملك فيصل وكنوز في الرياض ، قال له أنظر إلى الصحراء ، يمكن إذا اتجهت في الوسط ، إذا كنت في الوسط واتجهت يمنًا تجد ألف كيلو متر ، وإذا ألف كيلو متر وأمنًا ألف كيلو متر ، وخلفا ألف كيلو متر ، ونصور أن سيارة قامت من الرياض ر هذه السيارة محملة بالذهب والعصاة ، قامت من الرياض لتذهب إلى مكان على بعد عشرين كيلو متر ، لا يتأني مطلقًا أن يتعرض لها متعرض في هذه الصحراء التي لا بلدة فيها ولا شرطة ولا حرس ولا بوليس ولا شيء من هذا القبيل ، في هذه الصحراء الشاسعة تقوم سيارة محملة بالذهب والعصاة لتذهب من الرياض إلى هذه المدينة الأخرى

لا يتعرض لها متعرض لماذا ؟ لأننا نطبق الشريعة الإسلامية ، فيما يتعلق بقطع يد السارق نكر أنظر إلى بلد مثل نيويورك التي يقولون عنها إنها وصفت قمة الحضارة ، كم فيها من القتل في ساعه واحدة من أجل السرقة ؟ وكم فيها من القتل في اليوم الواحد ؟ في أربع وعشرين ساعة بسبب السرقة ، قتل وجرحي ، وقطع أكباد ، وقطع أمعاء بالسكاكين ،

﴿وادع إلى ربك إنك لن تولى مستقيم ، وإن جادلوك فقل الله أعلم بما تعملون﴾<sup>(١)</sup> .

وعليك بالرهء في الدنيا ، وتوكل على الله ، فإن الرهء أصل في الأعمال ، وتوكل رأس في الأحوال ، واشهد بالله ، واعتصم به في الأقوال والأفعال ، والأحلاق والأحوال :

﴿ومر يعتصم بالله فقد هدى إلى صراط مستقيم﴾<sup>(٢)</sup> .

وإياك والشك ، والشرك ، والاعتراض على الله في شيء ، واعبد الله على اقرب الأعظم ، تحفظ بالمحبة ، والاصطفائية ، والتخصيص والتولية من الله ، والله ولي المتقين .

ارجعوا إلى الله ، في أوائل لتدبير والتقدير ، تحطوا منه بملء التيسير ، وبحال يسكم وبين لتقصير وكل ورع لا يصحبه العلم

(١) الحج : ٦٧ . ٦٨

(٢) آل عمران . ١٠٦

= وصرب بالدار ، وبكل شيء في أربع وعشرين ساعة ، ثم نعال إلى المملكة السعودية بأكملها كم قطعنا من يد فيها في مدة عشرين سنة

قطعنا أيدي تعد على أصابع اليد الواحدة ، ونقول بعد ذلك إن الإسلام فاس فيما يتعلق بقصع يد السارق ، هناك القتل والدمج والسجن ، وكل ما يتأتى أن يكون من أجل السرقة وهذا لا شيء ، قصع يد سارق أو عدد من السارفين في مدى عشرين سنة ، وأجمع الوفد الأوروبي أن هذا الحكم نظام فيما يتعلق ببيع السرقة وقالوا لو طبقناه كان الأمر على كل حال ، وفي نهاية كمنى أنول كما قلب في أبدأ لو كان هناك شخص أو اثنين أو ثلاثة يوقعوني على الفكرة فإن اعتبر أن المحاصرة قد نجحت ، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته أما الأثر الذي ترتب على هذه المحاصرة ، فهو تصفيق حاد ، استمر مدة طويلة ، وأعلن الحاصرون أن الكل يوافق على جوهرها ، وتفاصيلها والحمد لله

والنور فلا تعدله أجراً ، وكل سيئة يعقبها الخوف والهرب إلى الله  
فلا تعد لها وزراً ، ثم أشار وقال :

خذ رزقك من حيث أنزلك الله ، فاستعمل العلم ، ومتابعة السنة ،  
ولا ترق قبل أن يرضى به فتزل قدمك .

اللهم من وجبت عليه الشقاوة فلا يصل إلينا ، ومن وصل إلينا  
فشفعني فيه يوم القيامة<sup>(١)</sup> .

ويقول صاحب المخطوطة معلقاً على ذلك :

ورأيت منقولاً عن شيخ الجماعة ( أبي محمد سيدى عيد القادر .  
اللهم لا يفت على قبرنا من وجبت عليه شقاوة .

قلت : ووفعت حكايات تشهد لهذا من بعض الكفرة ، حيث  
قارب الضريح ، ورجوع بعض الفئة الذاهيين بقصد الزيارة بعد أن  
لم يبق بين الضريح وبينهم إلا يسير ، لأسباب اتفقت لهم ، فأسأل  
الله السلامة .

---

(١) من ( كفاية المرید ) للخروبي

## فهرس الكتاب

الموضوع	الصفحة
مقدمة .....	٣
<b>الفصل الأول : بين أبي الحسن الشاذلي</b>	
وعبد السلام بن بشيش .....	٧
<b>الفصل الثاني : حياة ابن بشيش</b>	
بين الطريقة والطريق .....	١٥
الزهد والتوكل .....	٣٦
التوكل (١) .....	٧٢
التوكل (٢) .....	٨٠
التوكل (٣) .....	٨٦
الله .....	٩٠
حكم ووصايا .....	٩٣
.....	١١٠

رقم الإبداع	١٩٩٦/٤٠٥٢
الترقيم الدولي	ISBN 977-02-5255-7

١ / ٩٣ / ٦٦

طبع بمطابع دار المعارف (ج. ٣. ع) ١٩٩٧م



يُعَدُّ الإمام الأكبر فضيلة الدكتور عبد الحلیم  
محمود صاحب ورائد مدرسة الفكر الإسلامی  
والتصوف فی العصر الحديث ، ولقب بأبی  
التصوف فی العصر الراهن ، فقد أثرى المكتبة  
العربیة بأهمّات الكتب بین تحقیق وتالیف  
وترجمة ، فمنها دراساته القيمة عن الإمام الغزالی  
وكتابه « المنقذ من الضلال » ، و « دلائل  
النبوّة » ، و « القرآن فی شهر القرآن » إلى  
جانب ما كتبه من رواد التصوف علی مرّ العصور  
الإسلامیة المختلفة .

والإمام الأكبر فضيلة الدكتور عبد الحلیم  
محمود له عمق وغزارة الآراء الفقھیة ودقة  
الاجتهادات مما جعله یكسب صفوف المعارضین  
قبل المؤيدين ، إلى جانب اللباقة والدراية الكاملة  
فی عرض أى موضوع أو مسألة تتعلق بأمر  
الدين ، وأیضا یمتاز بقوة ورصانة الأسلوب  
والعبارات ، مما یدل علی المهاراة الفائقة والملکة  
اللغویة فلهذا اكتسب هذا العالم الجلیل احرام  
کل الفرق والمذاهب الإسلامیة فی شتى بقاع  
العالم ، وسیبقى هذا العالم وتراثه فی قلوبنا علی  
مرّ العصور .

تقسیم الغزالی : محمد أبو طالب

دار المعارف

٣١٩-٢/٠١

